الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

صالح بن يوسف والحماية الفرنسية على تونس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

إعداد الطالبتان

- ✓ *مرسلام أم الشيخ*
- ✓ *ماينـي جازية*

تحت اشراف الاستاذ:

دكانـي نجيب

السنة الجامعية: 2017/2016

شكر وتقدير

أول شكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقني في انجاز هذا العمل أقدم خالص شكري وتقديري الفاضل للأستاذ المشرف على هذا الموضوع"دكاني نجيب".

كما اتقدم بخالص الشكر إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة الذين ساعدوني بنصائحهم.

كما اتقدم بخالص الشكر إلى عمال المكتبة الجامعية والى كل من ساهم في مساعدتي في انجاز هدا البحث من قريب أو بعيد.

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة على نبينا وعلى اله وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

نحمد الله تعالى الذي قدرنا على شرب جرعة من هذا العلم الواسع فالعلم لا يتم إلا بعمل كما قال علي بن أبي طالب

فعش بعلم ولا تبغي له بدلا الناس موتى وأهل العلم أحياء

اهدي ثمرة جهدي التي طالما تمنيت إهداءها وتقديمها إلى

التي حملتني وهن على وهن قاست وتألمت لألمي إلى التي ربتني بحضنها وحنانها وسهرت طرب الليل من اجلي إلى أول كلمة نطقت بها

"أمي الحبيبة عائشة"

إلى الذي عمل وكد وجد فقاسا وتعب حتى وصلت إلى هدفي،إلى المصباح الذي لا يبخل إعطائي بنوره إلي الذي علمني بسلوكه خصالا اعتز بها

" أبي الغالي احمد"

إلى من عجزت الكلمات عن مدحهم إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي إخوتي " **فتيحة ، فريدة** " والى آخر العنقود " **عزا لدين**"

إلى أغلى شخص و اعز الناس والى الذي هوا في مخيلتي وليس في مذكرتي

إن الثراء لا يقاس بالمال إنما يقاس بالأصدقاء،إلى التي ضاقت السطور عن ذكرهم

" **هاجر، حبيبة ،ابتسام ، فايزة**"

والى كل عائلة **مرسلاو** .

مرسلاو أم الشيخ

إهداء

بعد بسم الله الرحمان الرحيم"الا مي الا يطيب الليل الا بشكرك ولا يطيب النهار الا بطاعتك ولا تطيب اللحضات الا بذكرك ولا تطيب الاخرة الا بعفوك ولا تطيب الجنة الا برؤية وجهك الكريم"

اهدي هذا العمل الى ابي محمد المناضل والمجاهد في سبيل الله حفضه الله والى امي الغالية فاطمة ذات الفضل الكبير و العطاء الوفير حفضها الله ورعاها .

الى جدي الشهيد عبد القادر ماينى وجدتي شريفة بن رابح في مثواها الخير.

الى من اظهر أي ما هوا اجمل من الحياة زوجي رابح وعائلته الكريمة الى ضنايا وكبدي الذي انتضره(ها) بفارغ الصبر واتمنى له(ها) كل الصحة والعافية

الى اخوتي واخواتي، مريم فتيحة حسينة والى اخي وحبيبي الصغير احمد ، دون ان انسى اخي جلول حمو و عبد الله وعائلته الكريمة الزوجة حورية والابناء بدر الدين،محمد الصديق ،والكتكوت الصغير احمد براء حفضهم الله .

الى كل عائلة: ماينى ، خرطمان ، بوبزول والى كل رفيقاتي في المشوار الدراسي دون استثناء ، والى الاستاذ المشرف دكاني نجيب المحترم وتحياتي له والى إدارة وقسم العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة خميس مليانة .

جازية ماينى

قائمة المختصرات:

ط: طبعة.

ع: عدد.

ج: جزء.

ص: صفحة.

دس: دون سنة.

د ت: دون تاريخ.

د ن : دون ناشر.

ط ج: طبعة جديدة.

مقدمة

خضعت تونس على غرار البلدان العربية الأخرى إلى سيطرة الاستعمار الفرنسي والذي كان موجودا قبل فرض الحماية الفرنسية سنة 1881 من خلال الجالية الفرنسية الموجودة في تونس وسيطرتها على المشاريع الكبرى في تونس،هذا الوجود الفرنسي الشامل جعلها تفرض الحماية على تونس تحت ضغط من القوات العسكرية يوم12ماي1881 رغم أن فرنسا بعد فرضها لنظام الحماية لم تلغي النظام السياسي التونسي وجعلته تحت تصرف المقيم العام الفرنسي الذي جرد بآيات تونس من سيادتهم على السلطة وبقي حكم الياي شكلي فقط ولم يتوقف الاستعمار الفرنسي عند هذا الحد فقط بل واصل تغلغله و الدخول إلى المجتمع التونسي فقد استهدف الإنسان التونسي في شخصيته وهويته الإسلامية ، لكن الشعب التونسي تصدى لكل أساليب الاستعمار الدنيئة،و قاوموا الاستعمار الفرنسي منذ دخوله ارض البلاد بالاعتماد على الكفاح المسلح وبكل ما يملك من قوة، إلا أن عدم تكافؤ الإمكانيات من عدة وعتاد أدى إلى فشل المقاومة التونسية في تحقيق أمال الشعب التونسي لتخلص من الاستعمار،ولكن رغم فشل المقاومة التونسية المسلحة واصل الشعب التونسي كفاحه بتغيير أسلوبه بالاعتماد على الكفاح السياسي والذي بدا يظهر منذ1907 وذالك بظهور نخب وطنية كان لها الدور الكبير في توعية الشعب التونسي، لتبدآ بالظهور أكثر وضوحا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، في شكل أحزاب لها برامجها وقادتها الوطنيين الذين ساهموا في نشر الوعي السياسي التونسي ووقفوا في وجه المشاريع الفرنسية الاستعمارية التي حاولت محو الهوية الوطنية ومن هذه الأحزاب الحزب الدستوري التونسي تأسس في فيفري1920 برئاسة عبد العزيز الثعالبي الذي انقسم إلى تيارين عام1934 ضم هذا الحزب أعداد هائلة من الوطنيين أملا منهم في تجسيد استقلال البلاد ومن بين هؤلاء المناضل الكبير صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد ،حيث سنقوم بدراسة هذه الشخصية وكيف دافع عن قضية وطنه وعن شعبه من اجل التخلص من سيطرة الاستعمار الفرنسي رغم العراقيل والصعوبات التي تعرض لها ،حيث سنحاول من

خلال هذه الدراسة معرفة مدى مساهمة صالح بن يوسف في الحركة الوطنية التونسية لاسترجاع الاستقلال التام.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب ذاتية وأسباب موضوعية دفعتنا لاختيار هذا الموضوع.

1- الأسباب الذاتية:

-تسليط الضوء على الشخصيات الهامة التي أثرت في الحياة الاجتماعية في تونس ومنها شخصية صالح بن يوسف.

- الرغبة في دراسة المواضيع التي لها علاقة بالحركة الوطنية التونسية من خلال السياسة الاستعمارية.

- الرغبة في البحث في تاريخ المغرب العربي خاصة الفترة الاستعمارية.

2-الأسباب الموضوعية:

- محاولة معرفة الاختلاف بين السياسة الاستعمارية في تونس وفي الجزائر بما أنا البلدين متجاورين ولخضوعهما لنفس الدولة المستعمرة.

- محاولة معرفة ما هي الأساليب التي اتبعها القادة التونسيون للتخلص من الاستعمار.

- الرغبة في معرفة وكشف الغموض من حول بعض الحقائق التاريخية لمسار الزعيم صالح بن يوسف وعملية اغتياله.

- عدم التطرق على مستوى جامعتنا لدراسات سابقة لهذه الشخصية التي كانت من ابرز الأسباب التي دفعتني إلى اختياره.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يبحث في شخصية صالح بن يوسف وفي تاريخ الحركة الوطنية التونسية وتفاصيلها ،ولاتهم نشاطات صالح بن يوسف انطلاقا من تعليمه ودراسته بالإضافة إلى نضاله الوطني في صفوف لحركة الوطنية التونسية.

المنهج المتبع:

المنهج التاريخي الوصفي:اعتمدنا عليه في استعراض مختلف الأحداث التاريخية وترتيبها ترتيب كرونولوجي مع وصف تلك الأحداث مرحلة بمرحلة.

المنهج التحليلي:اعتمدنا عليه في تحليل بعض الوقائع التي صدرت عن صالح بن يوسف تحليلا موضوعيا من خلال قيادته للحزب الدستوري الجديد ولموقفه من المفاوضات ومن الحكم الذاتي ومدى فاعلية هذه المواقف اتجاه السياسة الاستعمارية الفرنسية للوصول إلى الاستقلال التام دون أي شرط.

إشكالية الأطروحة:

آن الإشكالية الأساسية التي تعالجها الأطروحة تتعلق في ابحث عن الأسس التي انطلق منها صالح بن يوسف لمقاومة الاستعمار الفرنسي من خلال نضاله الوطني ونشاطه في الحزب الدستوري التونسي وقيادته له لاسترجاع تونس استقلالها التام، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية:

– كيف ساهم صالح بن يوسف في الحركة الوطنية التونسية لاسترجاع تونس استقلالها التام؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

- فيما تمثلت الأوضاع العامة في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي؟

- من هو صالح بن يوسف ؟وفيما تمثل نضاله الوطني؟

- كيف كان موقف صالح بن يوسف من المفاوضات ومن اتفاقية الاستقلال الذاتي؟ وفيما تمثل دوره في تحقيق الاستقلال التام؟

- كيف كان موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية؟

خطة البحث:

قسمنا موضوع البحث بناءا على المادة العلمية المتحصل عليها إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة الببليوغرافيا.

المدخل:تطرقنا فيه إلى أسباب ودوافع الاحتلال الفرنسي لتونس منذ1881.

أما الفصل الأول:تناولنا فيه الأوضاع العامة لتونس أثناء الاحتلال الفرنسي وقد قسمناه إلى أربعة مباحث،فتناولنا في المبحث الأول الأوضاع السياسية لتونس، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى الأوضاع الاجتماعية لتونس ، أما المبحث الرابع فقد خصصناه إلى الأوضاع الثقافية التي ميزت تونس في تلك الفترة.

أما الفصل الثاني:فقد خصصناه للتعريف بشخصية صالح بن يوسف ولنشاطه الوطني وقد تم تقسيمه إلى أربع مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول منه المولد والنشأة والى أصوله،أما المبحث الثاني تناولنا فيه تعليمه ودراسته وبداية نضاله الوطني، بينما خصصنا المبحث الثالث لنشاط صالح بن يوسف في صفوف الحزب الدستوري الجديد ولقيادته له بعد أما المبحث الرابع فقد تطرقنا فيه إلى لقيادة صالح بن يوسف للمفاوضات مع حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية.

أما الفصل الثالث:تحت عنوان صالح بن يوسف من الحكم الذاتي إلى الاستقلال التام تم تقسيمه بدوره إلى أربع مباحث تناولنا في المبحث الأول منه سير المفاوضات التونسية الفرنسية وموقف صالح بن يوسف منها ومن الحكم الذاتي أما المبحث الثاني خصص للحديث عن دور صالح بن يوسف في تدويل القضية التونسية والمبحث الثالث تناولنا فيه الصراع اليوسفي البورقيبي واستمرار المقاومة المسلحة بقيادة صالح بن يوسف أما المبحث الرابع خصص للحديث عن موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية.

الخاتمة: حاولنا إعطاء بعض الاستنتاجات لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

ومن اجل الإلمام بالموضوع من كل جوانبه، استعنا في بحثنا بمجموعة من المصادر التي ساهمت في إثراء موضوعنا ومن أهمها:

– "تونس الشهيدة" لعبد العزيز الثعالبي الذي اعتمدنا عليه في معرفة الأوضاع العامة لتونس ،و" هذه تونس" للحبيب تأمر، وكتاب "تونس الثائرة" لعلي البهلوان و "جمال عبد الناصر وثورة الجزائر" لفتحي الديب.

بالإضافة إلى هذا فقد استندنا إلى مجموعة من المراجع ومن أهمها:

– "حياة كفاح صالح بن يوسف" لمؤلفه منصف الشابي هذا مرجع أساسي لنا في بحثنا هذا حيث اعتمدنا عليه في تحديد المولد والنشأة والتعليم والدراسة لصالح بن يوسف ، بالإضافة إلى كتاب خليفة الشاطر و آخرون "تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال" بالإضافة الكتاب عميرة علية الصغير " اليوسفسون وتحرر المغرب العربي" ، وعبد الكريم عزيز" نضال شعب أبي"و كتاب الطاهر بن عبد الله " الحركة الوطنية التونسية".

– ولقد واجهتنا في انجاز هذا البحث مجموعة من الصعوبات والعقبات التي كانت عائق في طريقنا نذكر منها :

– صعوبة الوصول إلى المصادر التي تتناول حياة صالح بن يوسف بالتفصيل ماعدا كتاب منصف الشابي و هو مرجع أساسي بالنسبة لموضوعنا.

الفصل الأول:

الأوضاع العامة في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية.

المبحث الرابع :الأوضاع الثقافية.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

لعدة عوامل كانت تونس محل أطماع و صراع بين الدول الأوروبية حيث كانت فرنسا أكثرهم حلما و تطلعا لذلك بعد احتلالها للجزائر. [1]

وتجسدت أطماعها بانعقاد مؤتمر برلين في 1878 ، و قد مهدت لهذه الحملة بإثارتها لمشكلة القبائل التونسية على الحدود الجزائرية لتبرير تدخلها في تونس ، مدعية ان هذه الحدود تتعرض باستمرار لهجمات القبائل التونسية. [2]

- استغل " **جول فيري** " هذه المناوشات و عرض المسألة على البرلمان الفرنسي وطلب منه مساعدات مالية لتنظيم حملة عسكرية على تونس. [3]

و بحصول " **جول فيري** " على كل الإمدادات العسكرية ، تسربت كتيبة فرنسية تضم 3000 آلاف جندي من الجزائر يوم 24 أفريل 1881م بقيادة " **لوجيرو**" فاحتلت مدينة الكاف في 26 أفريل م1881 و سوق الأربعاء في 29 أفريل 1881م.

- و بوصول القوات الفرنسية إلى قصر الباي بقيادة الجنيرال "**بريار**" دخل في حمايته العسكرية إلى قصر "**باردو**" حيث كان القنصل " **روشان** " في انتظاره ، و اجبروا الباي محمد الصادق على توقيع معاهدة قصر السعيد " **باردو**" و التي نصت على اعتراف الباي باحتلال القوات الفرنسية لتونس. [4]

---

[1] بشير بن حاج بن عثمان: **" أضواء على تاريخ تونس 1881-1928"**، د ت ،تونس ، 1981 ، ص5.

[2]شوقي عطا الله الجمل: **" المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** ، ط1، د ب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1988 ، ص306.

[3] علي المحجوبي: **" انتصاب الحماية الفرنسية بتونس"**، تع عمر بن ضو- حليمة قرقوري – و على المحجوبي ، ب ت ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1986، ص40.

[4] رأفت الشيخ: **" تاريخ العرب المعاصر"** ، د ت ، د . ب ، دار الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 1996 ، ص6.

- كرست هذه الاتفاقية هيمنة فرنسا على البلاد التونسية . [1]

المقاومة التونسية للاحتلال الفرنسي :

ما كادت الجيوش الفرنسية تحتل مناطق من البلاد و تفرض حمايتها على كامل تونس بتوقيع الباي " **محمد الصادق**" على معاهدة الحماية بتاريخ 12 ماي 1881م ، حتى أعلنت القبائل التونسية رفضها للاحتلال . [2]

فاندلعت عدة مقاومات في مختلف العروش و القبائل ، و عمت الثورة جميع أنحاء البلاد التونسية . [3]

أ- المقاومة بالشمال :

لقد كانت قبائل " بني خمير " و سكان الجبال في طليعة حركة المقاومة في شمال البلاد ، حيث أن بمجرد سماع نبأ وصول السفن البحرية الفرنسية الى ميناء " طبرقة " .[4]

هب متطوعون من " أولاد بوسعيد " و " الحوامدة " و " أولاد بوعمر" ، بقيادة شيوخهم لمواجهة و مقاومة الأعداء ، و لم تتمكن قوات الاحتلال من الاستيلاء على هذه المقاومة إلا بعد قصفها في 26 أفريل 1881. [5]

---

[1] على المحجوبي: المرجع السابق، ص40.

[2] تامر الحبيب:" **هذه تونس**"، مطبعة الرسالة، د. ت، المغرب، ب. س. ، ص30.

[3] بشير بن حاج بن عثمان : المرجع السابق ، ص31.

[4] "طبرقة": تقع على شاطئ البحر و بها نهر كبير تدخله السفن الكبار ، و بها مرسى المراكب : أنظر اسماعيل العربي : " **المدن المغربية** " ، د ت ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص96.

[5] على المحجوبي: نفسه ،ص 46.

أما الفروع الأخرى من قبائل الخمير لم تغادر مواقعها بل بقيت لقطع الطريق أمام القوات الفرنسية القادمة من الجزائر و التصدي لكتيبة الجنيرال " **فانسدون** " "**Vancendon** " في 26 أفريل 1881. [1]

تواصلت المقاومة في جهة جندوبة بمشاركة قبائل " أولاد بوسالم" و" عمدون "، و كانت هذه القبائل مدعمة بأبنائهم الذين فرو بأسلحتهم من معسكر على باي في 29 أفريل1881 للدفاع عن مواطنهم اثر احتلال سوق الأربعاء ، و شهد سهل بوسالم في 30 أفريل 1881 معركة عنيفة دارت أحداثها في موقع يغرف " بن بشير " حيث تواصل القتال من الساعة الثامنة صباحاً الى السادسة مساءاً، حيث اضطر المقاومون الفرار من ساحة المعركة نضراً للتفوق الذي اظهره العدو.

- تميزت قبائل " مقعد" و " هذيل " في الشمال أيضا بمقاومتها الشديدة للغزاة ، حيث واجهت قوات الاحتلال بكل شجاعة في جهتي " ماطر" و " بنزرت" ، و في 28 أفريل 1881م ، استولى أبناء " مقعد " على سفينة حربية فرنسية بعد غرقها في الساحل التونسي بين " رأس سراس " و ميناء " بنزرت " ، فأسروا من فيها ونهبوها ، و على إثر ذلك دعا الشيخان " داود بن سعد " و " الحاج محمد أحمد " من مشيخة العرب بالمنطقة الى الحث على حمل السلاح، فاستجاب كل أفراد " مقعد" و" هذيل" لنداء المقاومة و أصبحوا جاهزين لمواجهة الأعداء.[2]
- لم تتمكن قوات العدو من القضاء على المقاومة لهذه القبائل إلا في بداية شهر جوان ، اذ استسلم أبناء " مقعد" و أجبروا على تسليم أسلحتهم ،و كانت المقاومة مستمرة

[1] علي المحجوبي: المرجع السابق ، ص46.

[2] نفسه:ص47.

ومنظمة في قبائل كل من نفات و جلاص و الفراشيش ، و" أحمد بن يوسف" قائد لأولاد رضوان (همامة) الذين كانوا يعملون على توحيد مقاومتهم .

- امتدت المقاومة الى القبائل الأخرى و في هذه الظروف تجاوزت كل القبائل خلافاتها و انقساماتها المعروفة (الصف الحسيني و الباشي و الشداد) للوقوف صف واحد في وجه الأعداء ، و لدرء الخطر الذي يهدد عامل البلاد . [1]

المقاومة في الجنوب :

- **صفاقس :** تميزت المقاومة التونسية المسلحة بالجنوب بالاضطرابات بصفاقس خلال شهر جوان 1881م ، قام بها السكان بالاشتراك مع جمع من قبيلة " المثاليث " ، و كانت الشائعات الرائجة آنذاك حول تدخل الدولة العثمانية لطرف فرنسا من البلاد التونسية قد زادت في توتر الوضع في هذه المدينة .
- بعث ذلك الفرع في الجاليات الأوروبيات و كذلك في أعيان المدينة الذين يخشون عملية النهب التي يقوم بها الأعراب ، و لم يكن لجوء عائلة القنصل الفرنسي بصفاقس في 25 جوان إلى باخرة البشير التونسية . [2]

و أمام تأزم الأمور بالنسبة للجاليات الأوروبيات أسس القائد " **حسونة الجلولي** " بعض الأعيان المدنيين لحمايتهم من غضب السكان و صيانة المدينة من الأعراب.

ولنفس هذا الغرض أرسلت السلطات الفرنسية باخرة الشكال إلى مدينة صفاقس يوم 27 جوان 1881م ، و هذا ما زاد من هيجان الشعب ، و في اليوم الموالي قام سكان

---

[1] بشير بن حاج بن عثمان : المرجع السابق ،ص33.32.

[2] البشير : هي باخرة قديمة من بقايا اسطول الباي : أنظر الشايب قدادرة **" الحزب الدستوري التونسي و حزب الشعب الجزائري" ، 1934-1954 ، دراسة مقارنة** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007، ص35.

صفاقس بالاشتراك مع قبيلة " المثاليث" بمهاجمة قنصلية فرنسا ، و تمكنوا من الإطاحة بالعلم الفرنسي و ضرب نائب القنصل الفرنسي " **ماتي** " .

بتاريخ 29 جوان 1881م هاجم الثوار القائد " **حسونة الجلولي**" بسبب تواطئه مع الفرنسيين ، وبفعل الدعم الذي لقيته من قبائل " نفات " و " بن يزيد" و " المثاليث" ، صار " **علي بن خليفة**" القائد الفعلي لصفاقس ، و هذا باعتراف سكان المدينة بنفوذه وسلطته. [1]

غير أن المقاومة بصفاقس لم تصمد طويلا أمام الأسطول الفرنسي الذي بلغ أوجه في 14 جويلية 1881م ، حيث ضمت 18 سفينة حربية ، و نظراً للتفاوت التقني بين أسلحة الثوار الفرنسيين و سلاح قوات الاحتلال سقطت مدينة صفاقس في 16 جويلية 1881م ، بعد قصف دام عدة أيام . [2]

- **قابس** : و على إثر احتلال صفاقس لم يضع حد للوجود الفرنسي ، فالقوى لم متكافئة مما جعل القوات الفرنسية تنسحب الى قابس بعد سقوط صفاقس ، و على إثر ذلك " علي بن خليفة " بصحبة أتباعه الى واد بودران. [3]

و يقوم على اتصال مع رجال جلاص ، كما توجه " **زيد بن الحزم**" و كذلك " **صالح** " شقيق " على بن خليفة" الى قابس و استقروا بها للدفاع عن سكانها و لمواصلة المقاومة.[4]

---

[1] علي المحجوبي :المرجع السابق، ص ص 35 ، 36.

[2] أحمد القطاب : " **تاريخ تونس المعاصر 1881-1956**" ، تعريب حمادي الساحلي ،الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986، ص32.

[3] بودران : تبعد عن المدينة التونسية حوالي 30 كيلومتر ، اشتهرت بأنها الأحسن في مراعي الأغنام و جودة الخرفان : الحبيب تامر : المصدر السابق ، ص255.

[4] نفسه: ص98.

استعد شقيق " **على بن خليفة** " لصد العدو الفرنسي بالمدينة ، و كان سكان قابس يتوقعون قدوم الأسطول الفرنسي و فعلاً حدث ذلك بتاريخ 21 جويلية 1881م ، حيث أرسلت باخرة حربية فرنسية بقابس ، و بعث قائد السفينة يدعو فيها موقفهم اتجاه القوات الفرنسية الزاحفة ، فبوصولها انعقد اجتماع في دار الخليفة و بحضور قاضي و مفتي من هذه البلدة و جمع من الأعيان ، دعا الى الخضوع الى قوات الاحتلال غير أن هذا القرار قوبل بالشتم و الرفض من طرف معظم الحاضرين .[1]

وصل الأسطول الفرنسي الى قابس في 24 جويلية 1881م ، و شرع في قصف المنزل من طرف أهالي قابس مما جعل القوات الفرنسية تعود الى الشواطئ للاحتماء بأنفسهم ، و بعد يومين من وصول الأسطول الفرنسي أعاد الهجوم على جارة بقيادة الكولونيل " **جامي** " ، و ضل المقاومون يدافعون على المدينة بشراسة لمدة تفوت 4 أشهر.

أظهر سكان تونس ارادتهم في عدم قبول الحماية الفرنسية التي فرضت على تونس اجباريا و ظلوا يقاومون . [2]

المقاومة بالوسط و الساحل :

امتدت المقاومة بالوسط و الساحل و شملت أيضاً ضواحي العاصمة ، و ضمت حوالي 500 فارس من سكان العاصمة جلاص و 200 جندي من المشاة التابعين " **لعلي بن خليفة** " .[3]

---

[1] على المحجوبي:المرجع السابق، ص49.

[2] الحبيب تامر : المرجع السابق ، ص30.

[3] عبد الكريم محمود غرايبه : " **تاريخ العرب الحديث** " ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1984م ،ص193.

وفي17 جويلية 1881م نزلت القوات الفرنسية بمناطق بعيدة عن العاصمة التونسية بحوالي 10 كيلوميترات ، و قام المغامرون التونسيون بشن هجمات على الضيعات الفرنسية ، و بانتهاء الثوار من مرحلة التعبئة قام هؤلاء بمنع جيش الاحتلال من التقدم نحو الوسط والساحل التونسي ، ففي 05 أوت 1881م ، غادر الثوار مدينة جلاص و القيروان متجهين نحو الشمال و أغاروا على قطيع من الإبل الذي يملكه الباي " **محمد الصادق باي**"

هبت جموع غفيرة من قبائل جلاص على بن عمارة المدني للتصدي لقوات الاحتلال ، ومنعها من التقدم نحو الساحل و الوسط ، و قد تمكن المقاومون من زعزعة صفف المحتل من خلال شن المقاومون لضربات ضد صفوف المحتل ، و هذا لمدة أربعة أيام متتالية من 26 الى 29 أوت 1881م.

استمر المقاومون في مرحلة الهجوم على القوات الفرنسية ، ففي سبتمبر 1881م قامت قوات جلاص و الهمامة و المثاليث و أولاد سعيد بالقيام بمناوشات بمنطقة زغوان ، كما خرجت مدينة زغوان من قبل من قبل جيوش الاحتلال خلال يومي 11 و 12 ديسمبر 1881م. [1]

بالرغم مما أظهرته حركة المقاومة التونسية في عدد من الانتفاضات إلا أن تلك المقاومة لم تكن في مستوى يسمح لها بمواجهة القوى الغازية التي كانت منظمة تنظيم حديث و مجهزة بأسلحة متطورة ، و كذلك فقد أسهمت حالة الحكام العرفية التي فرضت على تونس عام 1912 م، و اضطهدت عدد كبير من عناصر حركة المقاومة ، و استمر هذا من 1919م الى ما بعد الحرب العالمية الأولى.[2]

المقاومة السياسية في تونس :

---

[1] علي المحجوبي: المرجع السابق، ص51.

[2] غيلان سمير طه التكريسي :" **الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939** " ، مجلة أدب الفراهدي ،العدد13 ، تكريت ، كانون الأول 2012، ص188.

بعد توقف نشاط المقاومة المسلحة التونسية لقلة الإمكانيات، و لضعف التدريب والخبرة، جاء دور على بروز المقاومة السياسية.

تعود أصول الحركة الوطنية التونسية الى ما قبل الاحتلال ، حيث حاولت النخبة المستنيرة إقامة دستور عرف بـ " **عهد الأمان** " في عهد الباي الثاني (1855م–1859م) ، و عند مجيء " **محمد الصادق باي** " ، حيث وضع هذا الدستور موضع التنفيذ و قام بعدة اصلاحات إلا أنها فشلت بسبب ضغط الفرنسيين .[1]

عادت الحركة الوطنية الى الظهور مع بداية الاحتلال الفرنسي ، حيث قام أعيان المدينة بحركة احتجاجية بعد عام 1881م ، ضد قرارات السلطة الاستعمارية في ميادين لها مساس بالدين و بملكية الأراضي و التجارة .[2]

تكون الحركة الوطنية التونسية شيئاً فشيئاً على أسس جديدة ، و برهنت على وجودها قبل الحرب العالمية الأولى 1907م–1912م ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية 1912م – 1919م ، بلغت الحركة الوطنية أوجها منذ ثلاثينات القرن العشرين .[3]

عرفت تونس نشاط واسع للصحف ، حيث كانت تجربة الرائد التونسي عالقة بالأذهان ، غير أنه بعد انتصاب الحماية الفرنسية استحال عليها الصدور باللغة العربية ، و لسد هذا الفراغ قرر الوطنيون المثقفون إصدار جريدة الحاضرة سنة 1881م ، و هي جريدة أسبوعية تولى إدارتها " **البشير صفر** " ، تميزت الحركة الوطنية التونسية عن غيرها من حركات المغرب

---

(1) يوسف مناصرية : " **الحزب الدستوري التونسي (1919-1934)** " ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، تاريخ حديث و معاصر ، اشراف أبو القاسم سعد الله ، 1986م ، ص09.

(2) طاهر بن عبد الله : " **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية** " ، ط2 ، د س ، دار المعارف للطباعة و النشر ، تونس ، ص30.

(3) محمد الهادي شريف: " **تاريخ تونس من ما قبل التاريخ الى الاستقلال** " ط3 ، دار سراس للنشر ، 1993م ، ص116.

والجزائر المستمر كلما سمحت لها الفرصة بذلك ، و كلما قدمت السلطة الفرنسية بعض التنازلات .[1]

- **تونس الفتاة :**

من خلال المعارك الضاربة على الصعيد الثقافي و الاجتماعي بدأ العمل لدى الشباب التونسي يتجه الى العمل السياسي المنظم ، و بدأت هذه الحركة تتبلور في أذهان المثقفين التونسيين.[2]

تأسست أول حركة سياسية منظمة لمواجهة الاستعمار تحت اسم " **تونس الفتاة** " بقيادة كل من " **عبد العزيز الثعالبي** " و " **محمد باش حامية** " و " **على باش حامية** ".[3]

كانت حركة " **تونس الفتاة** " شبيهة الى حد ما بحركة " **تركيا الفتاة** "، و كان قادة هذه الحركة من خريجي المدرسة الصادقية .[4]

ساهمت هذه الحركة في تنظيم الجماهير في إطار الحرب ، و خرجت بذلك من الإطار الذي أراده الفرنسيون أن تكون عليه ، و هو مجموعة من المثقفين تكون الأداة في يدهم و لتكون عاملاً مساعداً لهم على نشر الحضور الأوروبي.[1]

---

[1] يوسف مناصرية:المرجع السابق ، ص13.

[2] طاهر بن عبد الله: المرجع السابق ، ص40.

[3] رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص42.

[4] المدرسة الصادقية : هي مدرسة أسسها محمد الصادق باي سنة 1875 ، و هي مدرسة عصرية تهتم بالثقافة الفرنسية الى جانب الثقافة العربية ، تخرج منها عدد من رواد الحركة التحررية ، علي باش حامية و عبد العزيز الثعالبي : أنظر "جلال يحي: " **المغرب الكبير في الفترة المعاصرة و حركات التحرر و الاستقلال** " ج3 ، د س ، الدار القومية للطباعة والنسر ، الاسكندرية ، ص1070.

[1] عبد الوهاب الكبالي : " **موسوعة السياسة** " ، ج1 ، الاشراف على التلقيح رشيد الليبي ، د س ، مؤسسة نحال للطباعة و الإعلان ، ص88.

أول عمل قامت به حركة " **تونس الفتاة** " هو إنشاء جريدة التونسي ، وهي جريدة أسبوعية صار " **عبد العزيز الثعالبي** " يكتب فيها ، و بعدما أعلنت هذه الجريدة عن برنامجها انظم إليها أغلب الشباب التونسيين و ساندها الشعب في ذلك و تضامن معها. [2]

سعت هذه الحركة الى تحقيق شعار الامة التونسية ، حيث دعت الى وحدة المغرب العربي ، و ضلت هذه الحركة تمثل الحركة الوطنية التونسية و تشارك مع الحركة الوطنية في اتجاهاتها ، كما ضلت هذه على تجاوبها مع الدولة العثمانية إلى حد يشبه تجاوب الحزب الوطني المصري مع الدولة العثمانية في ذلك الوقت .[3]

أصدرت هذه الحركة أول نسخة من جريدة التونسي سنة 1907م باللغة العربية ، و صار الشيخ " **عبد العزيز الثعالبي**" يكتب في هذه الجريدة بعد انضمامه إليها ، و كان مقرها هو مقر قيادة الحركة الوطنية.[4]

وحينما نشبت الحرب الإيطالية التركية سنة 1911م بشأن طرابلس الغرب و برقة ، كانت حركة " **تونس الفتاة**" تمثل جهاز من أجهزة تكتل الرأي العام التونسي و العربي للوقوف في وجه الاعتداء الاستعماري في هذا الإقليم.[5]

---

[2] نفسه، ص90.

[3] جلال يحي : " المغرب الكبير في الفترة ..... ، المرجع السابق ، ص1073.

[4] عبد الوهاب الكيالي، ج1 ، نفسه ، ص90.

[5] الحبيب تامر ، المرجع السابق ، ص125.

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية

سنتناول في هذا المبحث أوضاع تونس الاقتصادية أثناء الاحتلال الفرنسي ، و سنحاول تسليط الضوء على مختلف الجوانب الاقتصادية التي عرفتها تونس خلال هذه الفترة حيث شمل التدخل الفرنسي في تونس المجال الاقتصادي المجالات الثلاثة الزراعة ، الصناعة ، والتجارة.[1]

1-الزراعة :

سيطرت فرنسا على الاقتصاد التونسي الزراعي ، فقامت بالاستيلاء على الأراضي الزراعية ، و اتخذت كل الوسائل و الإجراءات اللازمة لذلك كانتزاع الأراضي الزراعية من أيادي المعمرين و منحها للفرنسيين ، و بذلك أصبح الفرنسيون يتحكمون في البلاد اقتصاديا ، و أصبح الشعب التونسي مهدداً بالفقر أمام هذه القوى المدعمة من طرف السلطتين التشريعية و القضائية .[2]

بالإضافة إلى استحداث فرنسا للمعمرين الفرنسيين وظائف لهم من العدم يتقاضون عليها أجور من خزينة الدولة التونسية ، كما كانت الأراضي التونسية قبل الحماية تحت تصرف الأهالي التونسيين يعيشون من محصولاتها و من تربية المواشي ، و كان البعض ملك الدولة أو ملكاً مشاعاً بين القبائل و البعض الأخر تابع للأوقاف العامة أو الخاصة .

- أملاك الدولة : تقدر أملاك الدولة التونسية قبل الحماية بمساحة لا تقل عن مليون من الهكتارات و كان للأهالي الحق في استغلالها حيث بادرت الحكومة الفرنسية في افتكاك هذه الملكية من الفلاحين التونسيين و منحها للمعمرين الفرنسيين ، حيث صدر الأمر المؤرخ في 13 ماي 1896م و الذي يقضي بإلحاق الأراضي البور

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي و آخرون: " **تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر- قارة إفريقيا** " ، ج2 ، ط10 ، دار المريخ للنشر و التوزيع ، الرياض ، 1993 ، ص103 .

[2] الحبيب تامر : المصدر السابق ، ص41.

- بأملاك الدولة ، فاتخذت سلطة الحماية على عاتقها تحديد الأراضي البور ، و راحت تدخل ما تشاء من الأراضي في هذا النوع متعدية على حرية الملكية الفردية.[1]
- أراضي الغابات : يوجد بتونس غابات و أحراش واسعة بالشمال قدرت مساحتها بمليون و ستة عشر ألف كيلومتر ، كما بادرت فرنسا إلى الاستيلاء عليها منذ الحماية ، حيث أصدرت قرار في 11 أفريل 1890م يقضي بإلحاق أراضي الغابات بأملاك الدولة الخاصة و تلي ذلك القرار أخر في 22 جويلية 1903م ، وضمن هذا القرار وضع حد لهذه الغابات .[2]

2-الصناعة :

سيطرت فرنسا على المجال الصناعي حيث احتكر الفرنسيون هذا المجال كاستخراج المعادن ، و سعى الفرنسيون إلى إفقار التونسيين و إبادتهم و عملت فرنسا على التشجيع للهجرة الفرنسية إلى تونس و فتحت أبواب الوظائف أمامهم من أجل السيطرة الكاملة على البلاد. [3]

هذه الجاليات الفرنسية استطاعت السيطرة على البلاد اقتصاديا بما فيها من مناجم وصناعات و وسائل نقل و تجارة و زراعة و كانت هذه الجاليات تتصف بالحقد و التعصب ضد الوطنيين حيث وجدت الدعم و المساعدة من طرف الحكومة الفرنسية ، و ترتب على هذا الوضع أن أصبحت هذه الصناعات الأساسية ووسائل المواصلات ووسائل الإنتاج بيد الفرنسيين. [4]

أما فيما يخص ثروة البلاد المعدنية فقد حولتها السلطة الفرنسية إلى شركات احتكارية مقابل أجرة سنوية زهيدة ، و من أهم هذه المعادن التي تستخرج من الأراضي التونسية : الفوسفات

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي و آخرون : المرجع السابق ، ص104.

[2] الحبيب تامر الحبيب : المرجع السابق، ص43.

[3] محمد عبد الله عودة و آخرون : المرجع السابق ، ص83.

[4] ظاهر بن عبد الله :المرجع السابق ، ص31.

، الجير ، حيث بلغ متوسط ما تصدره تونس من فوسفات الجير ثلاثة ملايين أطنان ، أما من ناحية الإنتاج فتأتي تونس في الدرجة الثانية من الدول المنتجة للفوسفات في العالم . [1]

يوجد بتونس مناجم الحديد و الرصاص و الزنك و النحاس ، و كل هذه المناجم و غيرها لا تعود على البلاد التونسية بالفائدة ، إذ لا يرجع للميزانية العامة إلا إيجارها السنوي ، وبعد أن عرقلت فرنسا تطور الصناعات التونسية القديمة لم تسمح لها بإقامة صناعات آلية إلا في نطاق محدد و يمنع انتشار الصناعات الآلية التي يمكن لها أن تنافس و تزحم بإنتاجها الصناعات الفرنسية .[2]

3-التجارة :

ارتفاع ميزان مداخيل البلاد التونسية من 17.980.000 ريال في سنة 1881م-1882م ب 342.000.276 ريال سنة 1885م-1886م في حين أن الضرائب غير المباشرة باستثناء المحاصيل التجارية ، فقد سجلت انخفاض في العائدات نتج عن هذا إلغاء أوتخفيض المعاليم المفروضة على صادرات الشاشية و الحبوب و الخضر

والزيت .[3]

فقد حصى كاتب عام لإقامة " روبان " ، " ROBIN " في نهاية 1885م مجمل الممتلكات التي صارت في حوزة الفرنسيين و هذا بناءا على الجداول التي أعدها المراقبون المدنيون و أعوان القنصليات ، و قدرت مساحة الأراضي التونسية بـ 176429 هكتار تمثل ما قيمته 10.892.000 فرنك ، و كان عدد الممتلكين الفرنسيين

آنذاك يقارب الأربعين ،ونجد ضمنهم خمسة شركات تملك 28000 هكتار فضلاً عن الشركة الفرنسية في افريقيا . [1]

---

[1] عبد العزيز الثعالبي : المصدرالسابق ، ص52..

[2] الحبيب تامر : المصدرالسابق ، ص52.

[3] علي المحجوبي: المرجع السابق ، ص118.

[1] علي المحجوبي: المرجع السابق، ص135.

ولقد أحصى التحقيق الذي أحصته وزارة التجارة سنة 1953م عدد من المؤسسات الصناعية التقليدية ، حيث تتراوح بين 4500 و 5000 مؤسسة بالعاصمة و بين 23213 مؤسسة باستثناء العاصمة .[2]

فالزيادة في قيمة المداخيل كانت متأتية من الضرائب المباشرة و من محصولاتها أي من الرسوم التي تسلط على الفئات الكادحة و بفضل هذه الزيادة تضاعفت عائدات الإبالة في ظرف سنتين فقد بلغ المبلغ المسدد لمقرضي الباي بين سنتي 1883م-1884م حوالي 13.536.830 ريال من جملة المداخيل ، حيث قدرت بـ 23.753.330 ريال ، وخصص جزء من هذه الميزانية لتجهيز الإبالة .[3]

أما قطاع الخدمات فهو محتكر من طرف العناصر الأجنبية ، أما التجارة الخارجية للبلاد التونسية ، فقد تم تنظيمها على غرار بقية قطاعات النشاط الاقتصادي بالبلاد ، و تطور هذا تطوير غير متكافئ لفائدة غير المسلمين بصفة عامة و الفرنسيين بالأخص.

فمنذ سنة 1881م إلى غاية 1890م لم تحدد السياسة الخارجية التجارية لفرنسا اتجاه البلاد التونسية بالنظر إلى مصالح المعمرين الفرنسيين ، فالبضائع التونسية كانت خاضعةلرسوم الجمركية كما أن البضائع الفرنسية عند دخولها إلى تونس كانت تدفع قدر معلوم قدر ب 8 % .[4]

كما أن الضرائب كلها كانت واقعة على عاتق التونسيين و لم يكن الفرنسيون يدفعون منها إلا القليل ، بالرغم من أنهم كانوا يمتلكون كل الوسائل الاقتصادية و كانت ميزانية البلاد بيدهم.

كما أن عدداً من موظفي الحكومة الفرنسية كان يفوق عددهم ثلاثة أضعاف السكان الأصليين في الإدارة التونسية الذي لا يقل عن خمسة آلاف موظف ، و بلغ عدد ما يملكه

---

[2] أحمد القصاب :المرجع السابق ، ص 237.

[3] علي المحجوبي :نفسه ، ص118.

[4] نفسه : ص ص 238 ، 245.

200 ألف مستعمر فرنسي من الأراضي الزراعية الخصبة ، و هذا ما يوازي مليونان من التونسيين من الأراضي القاحلة و المهدومة الإنتاج.[1]

[1] عبد العزيز الثعالبي ، المصدرالسابق ، ص 52

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية

يعالج هذا المبحث الأوضاع الاجتماعية في تونس من حيث النمو السكاني و أنماط المعيشة والفئات الداخلة من المستوطنين إلى تونس بعد فرض الحماية سنة 1881م وتأثيرها على المجتمع التونسي.

1-الوضع الديموغرافي:

تميزت الأوضاع الديموغرافية في تونس منذ الحماية الفرنسية1881م غلى نهاية الحرب العالمية الأولى بالاستقرار إذ تميزت بالانخفاض السكاني و التقهقر نتيجة لحروب الإبادة التي طبقها الاستعمار ، و قد قدر عدد السكان عام 1881م بمليون و نصف نسمة . [1]

و مع بداية القرن العشرين قدر عدد سكان تونس بـ 1740000 نسمة عام 1911م ، و في عام 1930م وصل عدد سكان تونس إلى 2100000 **نسمة** ، و عام 1955م وصل إلى 3500000 نسمة ، و نلاحظ أن الزيادة السكانية لم تكن مرتفعة من سنة 1921م إلى سنة 1930م ، و إنما بدأت بالارتفاع بعد الحرب العالمية الثانية.[2]

إن الأزمة الاقتصادية التي ظهرت فيما بين 1932م-1936م زادت من خطورة أثار الاختلال في التوازن الاقتصادي و الاجتماعي الناشئ عن الاستعمار الزراعي ، فقد أثارت حركات نزوح لم يسبق لها مثيل ، و قد شملت هذه الظاهرة بالأخص الجنوب.[3]

ظهرت في تونس طبقة عليا تتميز بالقسوة و احتقار كل ما هو تونسي و طبقة ثانية منكمشة على نفسها رافضة كل ما يصدر عن الطبقة الأولى ، و هذا باعتباره شيء غير أخلاقي وهذا ما ولد حركة رد فعل .[4]

---

[1] خليفة الشاطر و آخرون : " **تونس عبر التاريخ و الحركة الوطنية و دولة الاستقلال** " ج3 ، د ط ، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية ، تونس ، 2005 ، ص44 .

[2] نفسه ، ص265.

[3] عز الدين معزة: " **فرحات عباس و الحبيب بورقيبة 1899م-2000م** " ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر ، تحت إشراف عبد الكريم بوصفصاف ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية : 2009م-2010 م ، ص96.

[4] عبد العزيز الثعالبي : المصدرالسابق، ص296.

قدر عدد السكان التونسيين سنة 1884م بحوالي 19000 نسمة ، و مثل عدد السكان الإيطاليين النسبة الغالبة ة الساحقة ، و في عام 1901م ارتفع عدد السكان الأوروبيون إلى حوالي 111000نسمة منهم 71600 إيطالي ، و 24200 فرنسي ، و 12000 مالطي ، و ترجع هذه الزيادة السكانية إلى تزايد الهجرة الأوروبية ، و ذلك أن الامتيازات اتفاقية م1897 إلى الإيطاليين التي جعلت عدد من النازحين المهاجرين يتزايدون بسرعة لارتفاع نسبة الولادات ، حيث ارتفع عدد السكان الإيطاليين سنة 1911م إلى 88000 مقابل 46000 فرنسي ، حيث كان التزايد السكاني الفرنسي بطيء .

البطالة :

عرف الشعب التونسي خلال الاحتلال الفرنسي أزمة البطالة التي بلغت نسبتها بين السكان المؤهلين للعمل نحو 42 % سنة 1956م ، و ذلك نتيجة توسع حركة مصادرة الأراضي ، و إدخال المكنة و عصرنة الفلاحة و تقليص مواطن الشغل ، نتيجة غلق بعض المؤسسات كمصنع العجين و الصابون بتونس.[1]

تعرضت البلاد التونسية لنوبات الجفاف مما أدى إلى انتشار المجاعة في البلاد وخاصة ما بين سنتي 1945م–1955م ، حيث وصلت إلى درجة دفعت بالحكومة الفرنسية غلى تقديم مساعدات غذائية للشعب المتضرر من الجفاف.[2]

كما لعبت الخدمة العسكرية دوراً بارزاً في انحلال النظام الاجتماعي ، حيث كان الشباب التونسيين يتحملون فيها كل أنواع الفساد و الانحلال الخلقي و الرذيلة على شكل يصيحون فيه ثائرين على شرائف العائلة و المجتمع في تونس .[3]

---

[1] عبو نجاة : " **التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة و صالح بن يوسف ، دراسة تاريخية مقارنة 1945م-1961م** " ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي الحديث و المعاصر ،ن تحت إشراف عبد الله مقلاتي ، جامعة بوضياف المسيلة ، السنة الجامعية 2013م-2014م، ص33.

[2] نفسه: ص34.

[3] عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق ، ص161.

2-الصحة :

لم تقم السلطة الفرنسية بواجبها في هذا الميدان بل أهملته كل الإهمال و لم تخص في الميزانية التونسية اعتمادات ما يكفي للقيام بشؤون الصحة ، ففي مشروع ميزانية 1947م لم تتجاوز مجموع ما خصص لكافة الشؤون الاجتماعية ، و من قمتها الصحة العامة 588.750.000 فرنك ، من مجموع الميزانية العامة التي تبلغ 7.638.000.000 فرنك

أما ما خصص للصحة العامة من المبلغ فهو لا يكفي للقيم بتسيير المشاريع الصحية الموجودة على قلتها لمقاومة الأمراض المعدية و الوبائية المنتشرة في القطر ، كما أنه لم يكن يسمح بتأسيس المؤسسات الصحية التي تحتاج إليها البلاد و انعدام الأجهزة الطبية .[1]

كان المسلمون لا يتمتعون بأي ضمان اجتماعي يحميهم من حوادث العمل و غيرها بل أصيبوا بأمراض خطيرة كالسل و الوباء، حيث كانت المشروبات الروحية مجهولة في تونس قبل الاحتلال و كان تعاطيها محصوراً في الأوساط الأوروبية ، و لكن جيوش الاحتلال جاءت بها ، و على البلاد التونسية.[2]

أنشأ الأوروبيون بالبلاد التونسية مستشفى كبير و هو مستشفى " **شارل نيكول** " ، و مجهز بأحدث الأجهزة ، و به 743 سرير ، بينما لا يملك التونسيين إلا 295 سرير بالمستشفى " **الصادقي** " و 322 سرير بمستشفى " **الرابطة** " الخاص بالأمراض المعدية ، و يوجد بالعاصمة التونسية كذلك مستشفى الأمراض العقلية يأوي إليه العرب التونسيين والأوروبيين في آن واحد.[3]

أما فيما يخص حماية الطفولة فهي معدومة بالنسبة للتونسيين و لم تلقى أي عناية من طرف السلطات الفرنسية ، و كانت السلطة تقدم المساعدات لبعض مؤسسات الطفولة الحرة لأنها خاصة بالأوروبيين .

---

[1] الحبيب تامر: المصدر السابق ، ص161.

[2] يوسف مناصرية : **" دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالمتين 1919م-1934م "** ، د ط ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2014 ، ص45.

[3] الحبيب تامر :نفسه ، ص ص62 ، 63.

و يتضح إهمال السلطة الفرنسية للصحة و ذلك بمقارنة عدد وفيات الأطفال التونسيين بعدد وفيات الأطفال الأوروبيون ، و قد بلغت النسبة في تونس 33% ، بينما لم تتعدى النسبة الأوروبية 15 %.[1]

أما فيما يخص رعاية الأمهات مدة الحمل و بعدها ، فهي مفقودة كلياً ، حيث لم يكن موجود أي مستشفى خاص بالتوليد ، و لم تهتم السلطة الفرنسية برعاية الشيوخ و العجزة من التونسيين ، أما الطبقة الفقيرة فيتزايد عدد سكانها كل سنة ، و لم تلقى من السلطة الفرنسية أي مساعدة سوى الإهمال ، و كان إسعاف الفقراء قبل الحماية موكلاً إلى بيت المال الذي كانت موارده من الأوقاف و من العطايا و من الضرائب .[2]

أنشأت الحكومة ملجأ للعجزة و المعتوهين سنة 1715م بميزانية قدرت ب 98839 فرنك تجنيها من مواردها الخاصة ، و هذا الجدول يبين عدد الولادات و الوفيات لكل من سكان القيروان و تونس : [3]

السنوات	الولادات	الوفيات	الولادات	الوفيات
1910م	2656	3378	1929	1506
1911م	2429	3553	902	1426
1912م	2438	2774	1350	985
1913م	2663	2766	1640	1225
1914م	2472	2886	1312	1442

[1] الحبيب تامر : نفس المرجع ، ص64.

[2] عبد العزيز الثعالبي: المصدرالسابق ، ص179.

[3]نفسه : ص ص179 ،182.

المبحث الرابع : الأوضاع الثقافية في تونس

تناولنا في هذا المبحث الأوضاع الثقافية في تونس منذ دخول السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى الأراضي التونسية ، إذ لم تكتفي السلطات الفرنسية بالهيمنة على البلاد فقط بل لجأت

إلى سلاح أخطر بكثير من هذا ، ألا و هو تشويه الثقافة التونسية من لغة و دين من خلال عدة جوانب :

1-التعليم :

سيطرت فرنسا على التعليم فأخضعته لأنظمتها الفرنسية حيث أصبح الطالب يتقن اللغة الفرنسية و يفقه أسرارها و يتذوق آدابها ، أما لغته و آدابه فقد كانت بعيد كل البعد عنه.[1]

بالإضافة إلى إدخال التعليم الفرنسي في المدارس الخاصة بطبقة معينة لتخريج فئة معجبة بالثقافة الفرنسية لتكون عوناً لها للسيطرة على الشعب التونسي ، حيث قامت بإنشاء مدارس لأبناء فرنسا يمنع فيها أي علاقة بالثقافة العربية ، و إدخال بعض أفراد الطبقة الخاصة من العرب فيتخرجون منها جاهلين للغتهم و تراثهم ، كما قامت بمنع المدارس التي تدرس اللغة العربية .[2]

و كان بصيص الأمل يتمثل في جامع الزيتونة الذي اقتصر التعليم فيه على العلوم الدينية واللغوية و نشر الثقافة الإسلامية ، لذلك كان هذا الجامع الحصن الحصين للثقافة العربية الإسلامية لكل أقطار المغرب العربي ، و لم تستطع السلطات الفرنسية أن تفرض سيطرتها عليه.[3]

و في ظل الاضطهاد الفرنسي تحطمت النهضة التونسية العظيمة التي كانت تسانده في الماضي ، و منذ ذلك الحين أصيب التعليم الوطني باضطهاد حكومي لا يرحم ، فقد عملت الحكومة الفرنسية إلى ضرب المؤسسات القائمة آنذاك بدل أن تعمل على تطويرها ، و عند فشل ها في إلغائها بعد رد فعل التونسيين و مقاومتهم المتسمية ضد العدو الفرنسي قامت بتجاهل مدارس التعليم العربي ، أما من ناحية المساعدة فالدولة لا تعطي التعليم العربي درهماً واحداً ، فآل التعليم في التونس إلى الاعتماد على طرق أخرى كالاعتماد على خدمات

---

[1] الطاهر بن عبد الله : المرجع السابق ،ص31.

[2] جميل بيضون و آخرون : " **تاريخ العرب الحديث** " ، ط1 ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، د ب ، 1992م ، ص 192.

[3] جميل بيضون : المرجع السابق ، ص193.

الجمعيات الخيرية و ما يقدمه أولياء التلاميذ و الطلبة ، فوصل التعليم التونسي إلى درجة الانحطاط و البؤس ، و خير دليل على ذلك نذكر راتب إنشاء جامعة من الدرجة الأولى الذي بلغ مقدوره 20 ألف فرنك فقط .[1]

هذا و قد اتجهت سياسة فرنسا التعليمية إلى محو الروح القومية بمحاربة اللغة العربية والاستعانة باللغة الفرنسية و تطبيق برامج خاصة لإخراج الناشئة عن قوميتها العربية و قطع الصلة بين الماضي و التاريخ التونسي ن لكي تتمكن من إدماجها في العنصر الفرنسي .

ف التعليم بجامع الزيتونة ينقسم إلى ابتدائي ، و ثانوي، و عالٍ ، و هو تعليم عتيق يشبه التعليم بجامع الأزهر .[2]

بالإضافة إلى جامع الزيتونة أنشأت المدرسة الصادقية التي تعود نشأتها إلى عام 1875م ، و التي عملت على تطوير الدراسات إلى شكل جديد و حديث ، على الرغم من اعتمادها على اللغة العربية و التي تخرج منها عدد من رواد الحركات التحررية ، نذكر منهم على سبيل المثال " على باشا حمبة " ، " **البشير صفر** " .[3]

استطاعت اتفاقية المرسى القضاء على المؤسسات التعليمية في تونس ، حيث تعرض التعليم و الثقافة في تونس إلى محاولة التشويه و التزييف ، حيث رفض التونسيون ذلك ، و أمام هذا الرفض التونسي سمح الاستعمار للتونسيين بإنشاء مدرسة للتعليم العربي و هي " **المدرسة الخلدونية**" عام 1896م .[1]

---

[1] عبد العزيز الثعالبي : المصدرالسابق ، ص33.

[2] الحبيب تامر:المصدر السابق ، ص ص56 ،58.

[3] جلال يحي : المرجع السابق ، ص33.

[1] أنور الجندي : " **الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا** " ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1965م ، ص146.

تعتبر " **المدرسة الخلدونية** " التي أنشأنها " **البشير صفر**" و " **مومن** " خارجي المدرسة الصادقية أنها تستند إلى أساس عربي إسلامي واضح ، إضافة إلى جزء من الثقافة الأوروبية التحررية .[2]

و لكنها لم تتلقى التمويل من طرف فرنسا ، بل كانت تعتمد على إمكانياتها ، فلذلك لم تستطع الاستمرار في عملها التربوي التعليمي ، فلجأت الحكومة الفرنسية إلى إلحاق بعض صفوفها العربية بالمدارس الابتدائية الرسمية ، و جعل تدريب اللغة العربية اختياري.

إن هذه السياسة كانت ترمي بوضوح إلى الحط من اللغة العربية و قيم تونس الإسلامية ، فبعد فرض الاستعمار لسلطته على تونس و لجأ إلى فرض اللغة الفرنسية و مناهجها الفكرية.[3]

رغم ذلك لم يتمكن الاستعمار من استئصال اللغة العربية من قلوب التونسيين ، و حتى الذين انجروا وراء تعليم اللغة الفرنسية ، أصبحوا يشعرون بوحدة الضمير بسبب جهلهم للغة الأصلية ، فاضطروا إلى تعلمها .

كما لجأ سكان المدن إلى تنظيم دروس خصوصية لأبنائهم الذين لا يدرسون اللغة العربية في المدارس الرسمية ، أما الأغلبية العظمى فليست لها الإمكانيات فاكتفوا بالكتاتيب الموروثة عن الأجداد في نهاية القرن الـ19 . و التي كانت لوحدها تضم حوالي 23 ألف طالب ، و جامع الزيتونة يضم 800 طالب .[4]

حاولت فرنسا عن طريق المدارس الابتدائية الرسمية فرنسة المجتمع التونسي و محاربة اللغة العربية ، و لكنها اصطدمت بمعارضة تونيسة شديدة من التونسيين و من المستوطنين الذين عارضوا تعليم التونسيين تعليم عنصري لأنهم رأوا بأن ذلك سيؤدي إلى منافستهم في المجالات الفكرية و خاصة التقنية ، و لأنه يجعلهم واعيين بواقعهم لذلك أصدرت سلطة

---

[2] جلال يحي و آخرون ، " **المغرب الكبير الفترة المعاصرة و حركات التحرر و الاستقلال** " ، ج3 ، د ط ، الدار القومية للطبع و النشر ، الاسكندرية ، ص1071.

[3] أنور الجندي : نفسه ، ص147.

[4] عبد العزيز الثعالبي : المصدرالسابق ، ص57 ، 68.

الحماية عام 1908م توصية تطالب فيها بتوجيه التعليم بتونس كله و حتى المدارس الخاصة إلى التعليم المهني و الفلاحي بهدف تكوين يد عاملة ليستفيد منها المستوطنين .[1]

بعد مرور 38 سنة من فرض الحماية على تونس نجد من بين 291 مدرسة حوالي 60 مدرسة منها فقط مخصصة للتونسيين ، تضم 9000 تونسي أي بنسبة 0.4 من مجموع السكان التونسيين و من بينهم 15000 دعو للخدمة العسكرية يوجد منهم 52 % يحسنون القراءة و الكتابة باللغة العربية و الفرنسية .

طالب التونسيين بتعليم علمي و أخلاقي و روحي فمنحتهم فرنسا المدرسة الابتدائية التي غرست في نفوس الأطفال احتقار حضارة الأجداد و التاريخ الوطني و حشو أدمغة الأطفال بمعلومات خاطئة و مزيفة عن كل ما هو تونس أو عربي .[2]

عملت السلطات الفرنسية على مهاجمة جامع الزيتونة باعتباره مصدر للمقاومة .

2-الدين :

منذ أن وطأت أقدام السلطات الفرنسية أقدامها بتونس قامت باستغلال العامل الديني واستخدامه بطريقة محكمة للسيطرة على السكان التونسيين الذين يؤمنون بنفس المبادئ الإسلامية رغم تلك النزاعات القائمة بينهم ، و هنا برزت أهمية علماء الدين من القرآن إلى معلم العربية و بروز أهمية القضاة الذين يحكمون حسب النص القرآني و المفتيين .

3-الطرق الدينية الصوفية :

كانت هنالك عناصر أخرى يدعون إلى الإسلام و يحطون من المجتمع التونسي فهم يمتلكون مختلف طرق الدينية التي كانت قبل الحماية محكمة و تتمتع بدقة التنظيم[1].

فقد ضمت البلاد التونسية أربع طرق لها أهمية خاصة وهي :القادرية التي كانت تهيمن على الجهات المحيطة بالكاف و الرحمانية في الشمال و كانت أواسط القرانشيش و ماطر . و

---

[1] الحبيب تامر : المرجع السابق ، ص66.

[2] عبد العزيز الثعالبي : نفسه، ص ص64 ،75.

[1] علي المحجوبي : المرجع السابق ،ص ص16 ، 17.

الطريقة التيجانية في الجنوب الغربي من تونس . والطريقة السوسية بالجنوب تأسست بطرابلس عام 1835م ، أي بعد التدخل الفرنسي بالجزائر وتظم البدو والصحراء ، وهي تمثل النزعة الإسلامية المتصلة في مواقفها تجاه الدول المسيحية .[2]

4-الصحافة:

احتلت الصحافة التونسية مكانة مرموقة منذ الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال،فقد استحملت الصحافة التونسية السياسية والأدبية اليومية و الأسبوعية و الشهرية كأداة لنشر الأفكار الجديدة أكثر من الكتب التي كان نشرها يستوجب تكاليف باهظة الثمن نظرا لقلة عدد المثقفين، كما أن قلة ثمن الصحف وتنوعها ساعد على استقطاب عدد وافر من القراء خاصة سكان المدن و فتح أعمدة الصحف للكتابات الشعراء و السياسيين و المؤرخين.[3]

كما ساهمت الصحافة التونسية في فترة الحماية في بروز العديد الجرائد منها :

" **جريدة الحاضرة**" : ظهرت في أوت 1898م و التي تولى إدارتها و "**علي أبو شوشة** " وقد دعمه " **البشير صفر**"، وأصبح مقر الجريدة هو النادي الذي يجتمع فيه رواد الحركة الإصلاحية و أركان العروى الوثقى " **محمد السنوسي** " و " **سالمبوحاجب** " و " **محمد القروي** " ، و بدأت بالتنديد بالسياسة الاستعمارية بإدماج الشعب التونسي و منحه حقوقه عن طريق شن حملات على السلطات الفرنسية.[4]

كما طالبت " **جماعة الحاضرة** " كل من " **البشير صفر** " و " **سالم بوحاجب** " و"**محمدالقروي** و " **محمد الأصرم** " بتنفيذ الدستور التونسي .

---

[2] العجيلي التليلي : " التصوف في تونس الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881م-1886" منشورات كلية الآداب ، منوبة ، 1992م ، ص ص39، 43.

[3] أحد القصاب : المرجع السابق ، ص324.

[4] الصادق الزميلي : " أعلام تونسيون " ، تقديم و تعريب حمادى الساحلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1986م ، ص121.

كما ظهرت جريدة أخرى عرفت بـ " **جريدة الزهرة** " أنشأها " **عبد الرحمان الهنادلي**" ، ساهمت في فضح سلطات الاحتلال الفرنسي و جرائمه .[1]

5-الجمعيات :

لقد عرفت فترة الحماية الفرنسية بتونس تأسيس العديد من الجمعيات و النوادي ففي سنة 1904م إلى غاية 1912م تأسست عدة جمعيات موسيقية و أدبية ، و قام قدماء الطلاب بجهود النخبة التونسية لتحسين ثقافة مواطنيهم ، و لكن الحكومة شلت هذا الاندفاع بإعلانها الأحكام الفرعية عام 1912م.[2]

كما أن الجمعيات التونسية لم تلقى أي مساعدة أو تشجيع من طرف الإدارة الفرنسية ، مع أن بلدية تونس خضعت في ميزانيتها مثلا في عام 1919م وضعت نفقات بلغت 150000 تعطى للمسرح البلدي عن شهور أربعة و للأعمال الفرنسية فقط.[3]

لم تكتفي السلطات الفرنسية الاستعمارية في تونس بالتدخل العسكري في فرض سيطرتها وهيمنتها ، و لجأت إلى ممارسة طرق أكثر خطورة لتحطيم النهضة التونسية العظيمة ، وهذا بتشويهها للثقافة العربية الإسلامية و تحطيم مقومات الدولة و سيادتها الوطنية ومحاربة كل ما يمس بالشخصية التونسية بداية بالتعليم و إنكار اللغة العربية بتعليم لغة المستعمر الفرنسية و محاربة الدين الإسلامي و العادات و التقاليد ، حيث عملت السلطات الاستعمارية بكل ما في وسهل من طاقة لتحطيم كل ما هو إيجابي و يمس بالثقافة والشخصية التونسية.[4]

---

[1] يوسف مناصرية : " دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين " ، المرجع السابق ، ص67.

[2] عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ،ص163.

[3] علال الفاسي: المرجع السابق ، ص67.

[4] عبد العزيز الثعالبي: المصدرالسابق ، ص ص163، 172.

الفصل الثاني:

صالح بن يوسف بين الحكم الذاتي والاستقلال التام.

المبحث الأول:المولد والنشأة.

المبحث الثاني:دراسته ونضاله الوطني.

المبحث الثالث:صالح بن يوسف ونشاطه في الحزب الدستوري التونسي.

المبحث الرابع:صالح بن يوسف وقيادته للمفاوضات مع حكومة الجبهة الشعبية.

المبحث الأول : المولد و النشأة

تناولنا في هذا المبحث مولد و نشأة صالح بن يوسف مع التطرق لأهم مراحل حياته إلى العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته النضالية .

ولد " **صالح بن يوسف** " في 11 أكتوبر 1907م في منزل بن يوسف بقرية مغوارة ،وهي قرية تبعد أربعة كيلومترات عن مدينة ميدون شرق جزيرة جربة ، و تقع مغوارة على مرتفع يطل المرء منه على سهول جربة و بسا تينيها الجميلة .[1]

نشأ صالح **بن يوسف** في وسط عائلي محافظ و كانت عائلته على قدر كبير من الثراء ،عرفت عائلته بأعمالها التجارية و كانت تتمتع بسمعة طيبة في كل أنحاء البلاد و بمكانة مرموقة في المجتمع التونسي ، و نشأ في وسط عائلي محافظ و أصيل على عاداته وتقاليده الدينية ، كما تعلم **بن يوسف** حرفة الزراعة و الفلاحة عن والده.[2]

ويذكر أن " **القاسم بن يوسف**" والد " **صالح بن يوسف** " كان ملك خمسة منازل أي مزارع مجهزة و بيوت للسكن بكل مستلزمات العيش في الريف ، و بعد وفاته ترك لأبنائه ثلاثين ألف شجرة زيتون ، و معصرة ، أما المنازل فكانت تنتج جميع انواع الغلال وخاصة منها التفاح ، و الذي كان منتجوه من الجزيرة يجتمعون في ميناء أطلق عليه

" **مرسى التفاح** " ، و يكدس الفلاحون انتاجهم هناك فتأخذه السفة ليباع في تركيا ثم تحولت وجهته إلى تونس .

كان والده من " **العشرة الكبار** " و هو مجلس رسمي يجالس الباي و يقدم المشورة له يتألف من نواب عن أهم الصنائع و الحرف ، يجمعهم الياي للنظر في شؤون السوق

---

(1) عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، ج3 ، الموسوعة العربية للدراسات و النشر ، د ب ، د س ، ص548 .

(2) منصف الشابي : " **صالح بن يوسف حياة كفاح** " ، ط2 ، دار نقوش العربية ، تونس ، 2007 ، ص17.

وأوضاع التجارة ، و يمثل السيد " **قاسم بن يوسف** " في هذا المجلس جماعة العطرية الذين يهتمون بترويج البضائع جملةً و تفصيلاً و جماعة السوقية.[1]

وقد حافظت الأجيال على هذه الثروة و طورتها ، ثم جاء " **على بن يوسف** " فأنشأ معصرة ثانية من النوع الذي كان يقام تحت الأرض حفاظاً على جودة المنتوج و طور " **علي بن يوسف** " التوجه التجاري للعائلة فأسس شركة للصيد البحري تدر عليه أموالاً كثيرة ، كما طور الأعمال التجارية للعائلة بتونس ، فكان مع أخيه " **محمد** " يتقاسمان المهنة نصفين ، يقيم أحدهما في تونس لمراقبة العمل التجاري ، و الثاني في جربة لمتابعة الصيد البحري والأعمال الفلاحية .[2]

[1] جماعة السوقية : هم تجار مختصون بإدخال بعض الاضافات على البضائع قبل بيعها ، فيملحون الزيتون و غيره من المنتوجات الفلاحية و يضعون الصابون و يملحون الأسماك .. إلخ ، منصف الشابي ، نفسه، ص18.

[2] نفسه: ص18.

المبحث الثاني : دراسته و نضاله الوطني.

تعلم صالح بن يوسف كغيره من أبناء تونس مبادئ القراءة و الكتابة في كتاب القرية ، فأرسل إلى جامع " **حاضر باش** " ، و داوم على حفظ القرآن الكريم و على تعلم مبادئ الشريعة الإسلامية ، و لما بلغ الثامنة من عمره قرر جده إرساله غلى العاصمة بصحبة أخيه " **البشير** " لمزاولة التعليم العصري بالعاصمة ، فما كان يرضى أن يقتصر مثل الأجيال التي سبقته على الغوص في عالم التجارة .[1]

التحق " **صالح بن يوسف** " بالمدرسة الابتدائية في ساحة التريبونال ، وتحصل على شهادة التعليم الابتدائي سنة 1922م ، ، ثم التحق بمعهد **كارنو** بالعاصمة . [2]، و بما أنه لم يكن للغة العربية نصيب هام في ذلك المعهد طلب " **صالح بن يوسف** " من والده أن يساعده على تدارك الأمر.

انتدب له الشيخ " **محمد مناشو**" و هو أحد شيوخ جامع الزيتونة و له ثقافة في اللغة العربية ، فاهتم به اهتماماً كبيراً لما لاحظه فيه من نباهة و ذكاء ، و كان يتردد على بيت **بن يوسف** في الأوقات التي يعود فيها التلميذ " **صالح بن يوسف** " من المدرسة ، فيحاوره في الأدب و اللغة و الفقه ، و في بعض المواد العلمية كالرياضيات و الهندسة .

كان " **صالح بن يوسف** " مهتماً بمعرفة عادات و تقاليد بلاده ، فقد كان دائم التساؤل لمعرفتها بدقة و يرجع احتكاكه بالمتقدمين في السن و الحوار معهم في هذا المجال ، فأبدى منذ صغره تمسكه بتراث بلده و بهويته الوطنية العربية الإسلامية .

---

[1] منصف الشابي:المرجع السابق ، ص19.

[2]معهد كارنو : هي مدرسة فرنسية أنشئت حديثاً بغرض الحد من تأثير جامع الزيتونة المعمور و المعهد الصادقي : أنظر منصف الشابي : نفسه،ص19.

كان " **صالح بن يوسف** " يشده الحنين إلى جربة و لكن المسافات البعيدة كانت تمنعه من العودة ، و لم يتيسر له ذلك سوى مرة واحدة عام 1925م لما رافق أخاه " **البشير بن يوسف** " بصحبة السيد " **عبد العزيز العربي** " و هو أحد أصدقاء والده ، و يذكر السيد " **البشير بن يوسف** " أن أخاه " **صالح بن يوسف** " كان ولوعاً بركوب البغال ، فكثيراً ما كان يمتطيها لزيارة ميدون أو حومة الوسق التي تبعد عن منزل " **صالح بن يوسف** " 24 كلم.[1]

عاد " **صالح بن يوسف** " إلى مقاعد " الليسي " يتطلع إلى ما حققه العالم الغربي من تقدم في المجال العلمي ، و كان ذلك بأقدام ثابتة على أرضية التراث و الهوية ، و كانت تلك الصائفة التي قضاها بجزيرة جربة في سن المراهقة ، حيث يناهز عمره 18 سنة بمثابة أول منعرج في حياته ، فهم من خلاله أن الانفتاح على المعارف و على العلوم لا يتنافى أبداً مع التمسك بالهوية الوطنية .[2]

اهتم " **صالح بن يوسف** " بمتابعة الدروس الليلية في مدرسة العطارين ، نال منها " **صالح بن يوسف** " شهادتين هما : المؤهل العربي " d'arabe Breret " و الديبلوم العربي العالي " Diplôme d'arabe " ، كما واصل تعليمه في ثانوية **كارنو** أين تحصل على شهادة البكالوريا عام 1929م .[3]

---

[1] منصف الشابي: المرجع السابق، ص ص19،20.

[2] عبد الحفيظ موسم : " **الحركة اليوسفية و الثورة التحريرية الجزائرية** " ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، تحت إشراف الطاهر جبلي ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، السنة الجامعية 2015-2016 ، ص213 .

[3] سالم الأبيض : " **وثيقة عن الحركة الاستقلالية في المغرب العربي - اليوسفسية** " ، المجلة التاريخية المغاربية العدد 30 ، منشورات مؤسسة التميمي ، تونس ، 2008 ، ص 308 .

بعد قضاء " **صالح بن يوسف** " العطلة الصيفية بجزيرة جربة التحق بباريس بجامعة **السربون** لمواصلة تعليمية حيث تحصل على إجازة في الحقوق ، و شهادة معهد العلوم السياسية في جوان 1934م .[1]

- **نضاله الوطني :**

نما وعيه الوطني منذ صغره إذ كان والده يحثه عن تسلط الاستعمار الفرنسي و دخوله عنوة إلى تونس ، و باعتدائه على شعبها ، و قد حدثه في مناسبات عديدة عن الصدمات الدامية التي رافقت انتصاب الحماية الفرنسية على تونس و المقاومة البطولية التي قدمتها المدن و القبائل للدفاع عن الوطن الغلبة كانت في النهاية لصاحب القوة و المال و المعرفة على شعب ترك العلوم و فقد إيمانه بنفسه و بعقيدته ، فضاعت قوته و تبددت ثروته و عم الجهل بكل شرائحه و فئاته إذ ما استثنينا القلة القليلة منها .

هكذا كان يحدثه والده و هو يصغ إليه بانتباه فتهيج مشاعره و تمتلئ عيناه بالدموع ويذهب فكره إلى الماضي ليعود إلى وضع اللبنات الأولى من وعينه الوطني شعوراً بواجب إعادة المجد و السلام للعرب ، و كان يناقش هذه الأفكار مع أترابه خاصة بعد تخرجه من " **الليسيكارنو** " حاملاً شهادة البكالوريا ، فكانت النقاشات تطول بينهم في بيت والده لما يلاحظونه في حياة الشعب اليومية من عناء و بؤس و مشقة.[2]

كما عاش " **صالح بن يوسف** " أحداثاً و ظروفاً كان لها تأثير في تكوين شخصيته النضالية أهمها تنظيم فرنسا " **المؤتمر الأفخاريستي**" [3] ، الذي اعتبره العديد من التونسيين

---

[1] عميرة علية الصغير :" **المقاومة المسلحة في تونس 1939م-1956م** " ، ج2 ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 2005 ، ص215.

[2] منصف الشابي: المرجع السابق، ص21.

[3] المؤتمر الأفخاريستي : مؤتمر مسيحي كاثوليكي انعقد بتونس ما بين 7 و 13 ماي 1930م ، ضم المؤتمر وجوه تونسية تقلدت وظائف دنية و سياسية عالية كمحمد بيرم و الطاهر بن عاشور ، و خيل بوحاجب و محمد شنيق : أنظر تأليف شلة من الأساتذة :" **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1981م- 1964م)** ، المعهد الأعلى للحركة الوطنية ، تونس 2008 ، ص78.

بمثابة تحد للشعور الوطني التونسي و الديني ، اجتمع **صالح بن يوسف** رفقة " **علالة البهلوان** " و " **الطيب سليم**" و"**عبد الوهاب الكرارطي**" ..إلخ ، و قرر تنظيم مظاهرات للتنديد بهذا الوضع ، و انضم إليهم العديد من التونسيين رافعين شعارات وطنية تدافع عن الإسلام ،ولك الأمن داهم المتظاهرين و القى القبض على المجموعة التي نظمت لتلك المظاهرة ،وكان من بينهم " **صالح بن يوسف** " و الذي لم يطلق سراحه غلا بتدخل بعض أصدقاء عائلته .[1]

إذن هكذا كانت البدايات الأولى لنمو الوعي الوطني لدى " **صالح بن يوسف** " بضرورة مواجهة الاستعمار و محاربته دفاعاً عن الهوية الوطنية و عن الثقافة الإسلامية ، و هذا ما أوقعه في صدام مع السلطات الفرنسية فدخل السجن في سن مبكر.[2]

و بعد مغادرة " **صالح بن يوسف** " ليواصل دراسته بفرنسا ، واصل نشاطه النضالي ضد فرنسا ، وانتخب رئيس لشعبة دستورية معتبراً أن هذا الحزب يمثل الجبهة الوحيدة القادرة على جمع القدرات النضالية للشعب التونسي في ذلك الحين إلا أنه لاحظ من خلال علاقته باللجنة التنفيذية تقصيراً كبيراً في أداء هذا الواجب ، فاختار بأن يترك لهذه الشعبة الباريسية هامشاً تنظيمياً في علاقتها بالحزب في تونس ، و قد برز من بين العناصر النشطة في الشعبة المرحوم " **سليمان بن سليمان** " و " **عبد الرحمان البعلاوي**" و " **الهادي نويرة** ". [3]

---

[1] منصف الشابي : المرجع السابق ،ص23.

[2] سالم الأبيض: المرجع السابق ، ص308.

[3] منصف الشابي : نفسه ، ص25.

كان دائم التردد على مقر **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين**[1] ،بفرنسا و أدى دوراً هاماً بالجمعية إذ تولى مسؤولية أمين عام مساعد ، و كان كثيراً الاحتكاك بالطلبة الجزائريين والمغربيين فأدرك مبكراً أهمية التضامن بين أقطار المغرب العربي الثلاثة

(الجزائر ، تونس ، و المغرب الأقصى) ، و انشغل **صالح بن يوسف** بالدراسة لم يمنعه من أداء واجبه الوطني ، و بعد استكماله لمشواره الدراسي ، تحصل على شهادة الحقوق فأرسل له " **الطاهر صفر** " رسالة يطالب منه العودة إلى تونس ، خاصة بعد اشتداد الخلاف بين مناضلي الحزب الدستوري في صيف 1934م ، و فتح مكتب محاماة في باب السويقة ليكون مقراً لنشاطه السياسي ، فقد تزامنت عودته مع انقسام الحزب الدستوري التونسي القديم إلى شقين ، و ظهور الحزب الدستوري الجديد بقيادته " **محمود الماطري** " و**الحبيب بورقيبة**"[2].

فالتحق **صالح بن يوسف** الحزب الدستوري الجديد ، و بعد اعتقال زعماء الحزب ومنهم : " **الحبيب بورقيبة** ، و **محمد بورقيبة** ، و **محمد الماطري** "..إلخ ، سعى **بن يوسف** إلى تنظيم الفراغ السياسي و إلى إعادة تنظيم الحزب و بإسناد المهام لكل مناضل ، فكلف " **السيد سليمان بن سليمان** " بمهنة تمثيل الحزب في باريس في سبتمبر 1934م .[3]

المبحث الثالث : صالح بن يوسف و نشاطه في الحزب الدستوري

---

(1) جمعية طلبة شمال افريقيا : (A.E.M.N.A) ، أسسها الشاذلي خير الله و هو عضو في ادارة نجم شمال افريقيا سنة 1927م ، بهدف تقديم المساعدات المادية للطلبة المغاربة تحولت الجمعية غلى نادي للتربية السياسية و كان لها دور تنمية الوعي الوطني ، بدأ دورها يتلاشى منذ عام 1939م ، بسبب ظهور خلافات سياسية داخلها : أنظر مومن العمري : " **شعار الوحدة المغاربية و مضامينه في المغرب العربي اثناء الكفاح الوطني** " ، رسالة شهادة دكتوراه ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009-2010م ، ص48.

(2) الحبيب بورقيبة : ولد 1903م ، بالمانشير تلقى تعليمه بالمدرسة الصادقية ، انتقل إلى فرنسا عام 1924م لمواصلة دراسته في الحقوق و العلوم السياسية ، عاد إلى تونس بعد حصوله على شهادة الليسانس في الحقوق و شهادة المحاماة عام 1934م ، أسس الحزب الدستوري الجديد 1954م ، وقع اتفاقية مع فرنسا في 1955م و في عام 1956م تم الإعلان عن استقلال تونس و هنا ألغى سلطة الباي و أعلن عن نظام جمهوري ، أنظر " **سعيد صافي " بورقيبة سيرشبه محرمة** ، ط1 ، الرياض ، الرايس للكتاب و النشر ، تونس 2000م ، ص7.

(3) محمد ضيف الله : " **خطب وثائق صالح بن يوسف 1955م -1956م** ، د ط ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 2015م ، ص19.

نتناول في هذا المبحث نشاط و نضال **صالح بن يوسف** من خلال انضمامه إلى الحزب الدستوري التونسي بالإضافة إلى قيادته للحزب بعد اعتقال **الحبيب بورقيبة** ، و زملاءه في الحزب .

1. تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي :

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى انطلقت حركات التحرر في الوطن العربي و الشعب التونسي مستمدة بيناتها من الحلفاء حول حق الشعب في تقرير مصيرها ، وكذلك من مبادئ الرئيس الأمريكي " **ولسن** " ، فظهرت قوة بسيطة و معادية للاستعمار الفرنسي أخذوا على عاتقهم مهمة إعادة بناء الحركة الوطنية التونسية و تنظيمها ، لاسيما أن هؤلاء الشباب لم يتجاوزوا طيلة الحرب لأي طرف من الأطراف ، بل اتخذوا لأنفسهم موقفاً تمثل في ضرورة انتظار نهاية القتال للاستفادة من النصر مهما كانت نتائجه ، و في نفس الوقت لم يغيبوا عن الساحة السياسية التونسية ، و شرعوا في التحضير لتأسيس حزب وطني تونسي.[1]

وكان أهم اجتماع هو ذلك الذي انعقد في شهر مارس عام 1919م ، في صالون مقهى فرنسي سابق برئاسة " **خير الله بن مصطفى** " و هو اكبر مناضل من عهد " **جريدة التونسي** " ، كان الغرض من هذا الاجتماع هو وضع برنامج يستعيد مطالب " **جريدة التونسي** " .[2]

و من هذا المنطلق أرسلوا في شهر مارس 1919م مذكرة إلى الرئيس الأمريكي " **وادارو ويلسون** " إلى وفود مؤتمر الصلح بباريس يطالبون فيها بإعادة النظر في الحريات المفقودة

---

[1] غيلان سمير التكريتي :مرجع سابق ، ص186.

[2] على المحجوبي: المرجع السابق ، ص218.

مع التذكير من الإذلال السياسي و الاجتماعي الناجم عن الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية .[1]

إلا أن الرئيس الأمريكي الذي وضع مصالح القوى الحليفة فوق مبادئه و اعتبر المسألة التونسية من قضايا فرنسا الداخلية ، كما اعترضوا على أي مشاركة تونسية في مؤتمر الصلح ، و أمام هذا الوضع غير الحزب استراتيجيته و عمل على استعطاف اليسار الفرنسي من أجل تحقيق مطالبه في نظام عصبة الأمم المتحدة عن طريق وفد للحزب مكون من **أحمد السقا** و **عبد العزيز الثعالبي** .

استطاع الحزب أن يكسب القضية التونسية لصالحه ، و استطاع الوفد التونسي تحقيق بعض النجاح في التعريف بالقضية التونسية لدى العديد من الجمعيات و الصحف و كسب تأييد عدة قوى .[2]

و هكذا تأسس هذا الحزب الذي عرف أول الأمر بالحزب الحر التونسي لكن لم يلبث أن اتخذ إيعازاً من الشيخ **عبد العزيز الثعالبي** اسم أنسب لبرنامجه و هو الحزب الحر الدستوري التونسي و يطلق عليه اسم حزب " الدستور " و هو الحزب الذي سيكون له دور هام في العشرينات من القرن العشرين .

تأسس الحزب الدستوري التونسي رسمياً يوم انعقاد مؤتمره الأول بتونس بدار الشيخ المختار كاهية يوم 14 جوان 1920م ، بالمرسى حيث تقرر الإعلان عنه حالاً ، و اتخذ من مدينة تونس مقراص له و اعترف به رسمياً على اثر استقبال الباي **محمد الناصر** للوفد الدستوري.[3]

---

[1] غيلان سمير التكريتي :المرجع السابق، ص186.

[2] علي المحجوبي :المرجع السابق ، ص225.

[3] يوسف مناصرية : " الحزب الدستوري التونسي 1919م-1934م " ، مرجع سابق ، ص ص 56 ،86.

تألف هذا الحزب من عناصر الطبقة العاملة و المثقفين الواعيين و ضم كل من " **الماطري محمد** " و " **الحبيب بورقيبة** " و " **الطاهر صفر** " .. ، كما صادق المؤتمر في اليوم الأخير من أشغاله 13 ماي 1933م ، على ميثاق وطني جاء فيه أن سياسة التظاهر مع فرنسا قد فشلت و أن الحزب الدستوري التونسي هو تحرير الشعب التونسي و منح البلاد دستور يحمي الشخصية التونسية و يقر بسيادة الشعب.[1]

ركز الحزب الدستوري التونسي على تأسيس مجلس تشريعي و تأليف حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس و إلى تأسيس جيش وطني ، وإلى استعادة الأراضي المصادرة من قبل السلطات الفرنسية بالإضافة إلى فتح باب للوظائف أمام الوطنيين و إلى حرية الصحافة وتأسيس الجمعيات و إلى اجبارية التعليم.[2]

2. الانشقاق داخل الحزب الدستوري التونسي :

فتحت مرحلة الثلاثينات مرحلة جديدة في مسار الحركة الوطنية فقد أفرزت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية تحولات عميقة في صلب المجتمع الأهلي وتجسدت على المستوى السياسي في بروز عناصر قيادية شابة في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد وشهدت استقطاب كافة الفئات المتضررة لتأطيرها .[3]

تدعم النشاط الاستعماري و تطور عام 1830 حيث كانت السلطات الفرنسية تبدي تفاعلها وذلك بإقامة تفاعلات و احتفالات ، واتخذت السلطات الفرنسية إجراءات كان الغرض منها هو تجنيس التونسيين جنسية فرنسية و هذا ما جعل الوضع يتفجر .

---

[1] شارل أندري جوليان : " **افريقيا الشمالية تسيير القوميات الاسلامية و السيادة الفرنسية**" ، ترجمة المنجي ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1976م ص130، 131 .

[2] عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ، ص360.

[3] خليفة الشاطر و آخرون :المرجع السابق ، ص103.

و لقد كانت قضية التجنيس من أهم القضايا الوطنية منذ مطلع الثلاثينات من القرن العشرين إذ شنت جريدة العمل التونسي حملة على هذا القانون لما يمثله من خطر يهدد الهوية التونسية العربية الإسلامية و دعت إلى دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية في المقابر الإسلامية .

كثرت الاصطدامات بين قوات الأمن و الجمعيات الشعبية في العديد من المدن التونسية مثل العاصمة بمناسبة وفاة بعض المتجنسين و اضطرت في آخر الأمر إلى تخصيص مكان لدفنهم خارج مقابر المسلمين ، فكان ذلك نشاط كبير أحرزته الحركة الوطنية التونسية بوجه عام و جماعة جريدة العمل التونسي بوجه خاص. [1]

مؤتمر نهج الجبل 13 ماي 1933م :

لقد أفرزت التحولات الهيكلية في صلب المجتمع التونسي اختلاف بين الوعي المتنامي للجماهير الشعبية و تكتلات الحزب الدستوري الملتزمة بموقف التهدئة و الاعتدال في أغلب الأحيان و بروز جيل جديد من المثقفين اذ هي التي ستضفي داخل الحركة الوطنية حدوث انشقاق دستوري سنة 1934م .

و في ظل الأزمة الاقتصادية و الاجتماعية و الهجومات الاستعمارية المستفزة للمشاعر الوطنية ، انعقد مؤتمر **الحزب الحر الدستوري** بنهج الجبل المدينة العتيقة يومي 12 و 13 ماي 1933م ، وهذا التاريخ له دلالة كبرى إذ يمثل التاريخ بسط نظام الحماية الفرنسية على تونس ، جاء هذا المؤتمر في ظل نهوض جماهيري عارم ، لعب فيه الحزب دوراً متميزاً و هذا الأمر الذي مكنه من الخروج من وضع التردد ، ضاماً إلى صفوفه و قيادته مناضلين جدد عرفوا بمواقفهم الرديكالية أمثال **محمود الماطري** و **البحري قيقة** و الأخوين **الحبيب بورقيبة** و **محمد بورقيبة** .

[1] حسن حسني عبد الوهاب : " **خلاصة تاريخ تونس** " ، تقديم و تحقيق حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2004، ص167 .

كان انعقاد مؤتمر نهج جبل بمثابة مؤتمر الحسم إذ اعتبره **بورقيبة** " تاريخياً " ، إلا أنه طالب الحزب بالتخلي عن وسائله البالية و برنامجه القديم الذي تجاوزه الزمن و الذي لم يعد يستجيب للرغبات العميقة للشعب التونسي .

خرج المؤتمر ببرنامج طرح في وثيقته مسألة السير بالشعب التونسي نحو التحرير معلناً تطلعه و المشاركة و التعاون و كان هذا البرنامج الذي تبناه المؤتمرون الدستوريون بالضرورة تحولاً في القيادة و أساليب العمل الدستوري .[1]

أصبح هؤلاء الوطنيون الجدد أكثر قناعة بوجوب القطع من الماضي و القيام بأعمال فيها إظهار للقوة و ترهيب للمستعمر يرغم الفرنسيين على التفاوض مع الوطنيين لقبول أخف الضررين ، وذلك هو الأسلوب الذي سلكه الديوان السياسي ، حيث قرر التغير دون اللجوء إلى إنشاء حزب جديد و جلب أنصار جدد ، و من أجل ذلك قرر الدعوة إلى عقد مؤتمر قصر الهلال سنة 1934 .[2]

مؤتمر قصر الهلال 02 مارس 1934م و تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد :

انقسم الحزب الدستوري التونسي إلى تيارين متصارعين ، تيار الحزب الحر الدستوري التونسي القديم ، و تيار الحزب الدستوري الجديد ، و لقد كانت مظاهرات 07 أوت 1933م بالمانشير ضد وفاة أحد المتجنسين و دفنه في المقابر الإسلامية و المظاهرات التضامنية معها التي حدثت أيام 09 و 10 و 12 أوت 1933م ، في معهد المقيم **مارسيل**

---

[1] تأليف شلة من الأساتذة : موجز الحركة الوطنية ..... ، المرجع السابق ، ص82،83.

[2] عبد الكريم عزيز : " **نضال شعب ابي تونس 1881م- 1956م** " ، مركز النشاط الجامعي ، تونس ، 2001م ، ص213.

بيروطون[1]، كانت تلك بداية التصدع و الانشقاق داخل الحزب الدستوري لأنها كشفت عن المواقع الفعلية لكل طرف في هذه القضية .

كان أول سبب مباشر لهذا التصدع هو الانشقاق تمثل في تزعم المحامي الشاب " **الحبيب بورقيبة** " ، يوم 04 سبتمبر 1933م و قد يشكو إلى الباي القمع الذي سلط على السكان يوم 07 أوت .[2]

بدأ الطرفان يتسابقان لكسب الأنصار من الشعب الدستورية و بدأ المنسقون في الدعوة إلى مؤتمر استثنائي للحزب و تقرر هذا الاجتماع يوم 03 جانفي 1934 م ، ترأسه **الحبيب بورقيبة** و **الطاهر صفر** ، عقد مؤتمر انبعاث الحزب الجديد في قصر الهلال يوم 02 مارس 1934م .[3]

ندد بعض المشاركون في مؤتمر **قصر الهلال**[4] بتخاذل اللجنة التنفيذية و تعاونها مع الحماية و تقرر انتخاب قيادة جديدة للحزب و بعث هياكل جديدة و هي : **الديوان السياسي** ، **المجلس المالي** ، **و الشعب الدستورية** ، وانتخب المؤتمر أعضاء الديوان السياسي ووزعت عليهم المسؤوليات على النحو الآتي :

- **محمود الماطري** : رئيس
- **الحبيب بورقيبة** : كاتب عام
- **الطاهر صفر** :كاتب عام مساعد

---

(1) بيراطون : هو مقيم عام فرنسي وصل إلى تونس في 12 ربيع الثاني 1352هـ/ 07 ماي 1933م ،في الوقت الذي كان فيه المسلمون يرفضون دفن النصارى في مقابر المدينة ، أراد القيام ببعض الاصلاحات ، و بدأ بعمل بمكر، أنظر : محمود شاكر ، **التاريخ الاسلامي ، التاريخ المعاصر لبلاد المغرب** ، ط2 ، المكتبة الاسلامية ، بيروت ، 1996م ، ص151.

(2) علي المحجوبي :المرجع السابق ، ص262،263 .

(3) عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ، ص213،214 .

(4) قصر الهلال : " مدينة تونسية تمثل رمز سياسي ، انبع الحزب الدستوري الجديد من خلال انعقاد مؤتمر بهذه المدينة سنة 1934م ، و هي تعتبر نموذج ناجح للاقتصاد خاصة في ميدان النسيج تحت راية الشركة الوطنية (سوجي تاكس) ظن محمد طاهر بالخوجة ، الحبيب بورقيبة **" سرة زعيم شهادة على العصر "** ، دار الثقافة للنشر ، مصر ، 1999م ، ص163.

- **محمد بورقيبة :** أمين مال
- **البحري قيقة :**مساعد أمين مال

وعقدت اللجنة التنفيذية هي الأخرى مؤتمرها في نهاية أفريل 1934م ، و أصبحت الساحة السياسية في تونس يتجاذبها حزبان ، هما اللجنة التنفيذية و الديوان السياسي .[1]

ضم الحزب الدستوري الحر الجديد مختلف الأعيان كما انتسب إليه الكثير من الأفراد التونسيين من أصحاب الآراء و السلوك ن وظهر في هذا الحزب تياران ، أحدهما حافظ على الشخصية العربية الإسلامية و سعى إليها ، و الثاني حريص على مصلحة بلاده و لكنه يرى أنه سير على النهج المادي الأوروبي و في الطريق العلماني و تسلم هذا الجناح جريدة العمل التونسي .[2]

بعد عودة الشيخ **عبد العزيز الثعالبي** إلى تونس في 05 جويلية 1937م ، في وقت كانت فيه قيادة الحزب الجديد في أوجها ، فقد اتجه عطفها تلقائياً إلى الحزب الدستوري القديم و حاول أن يوحد بين الحزبين ، فكان جواب **الحبيب بورقيبة :** " بتحكيم الجماهير الشعبية مطالباً بإجراء استفتاء شعبي قبل ذلك " ، هذا الأمر جعل نشاط **الشيخ عبد العزيز الثعالبي** محدود في هذه الفترة .[3]

استقال **الماطري** من رئاسة الحزب الدستوري الحر الجديد في ديسمبر 1973 تاركاً المجال **للحبيب بورقيبة** و الذي أصبح الزعيم الأول للحزب الدستوري الجديد و الملاحظ أن جذور الانشقاق ترجع إلى ما قبل المؤتمر ، وذلك بسبب تباين الفكر الثقافي بين الفريقين.[4]

---

[1] عبد الكريم عزيز : المرجع السابق، ص214 .

[2] محمود شاكر: المرجع السابق ، ص201 .

[3] جلال يحي و آخرون : ج3 ، المرجع السابق، ص1083 .

[4] محمد الدرعي : المرجع السابق ، ص91 .

نشاط صالح بن يوسف في الحزب الدستوري الجديد :

- **انضمامه للحزب :**

انضم **صالح بن يوسف** إلى الحزب الدستوري الجديد لأنه كان مؤمن بمطالب الحزب الهادفة إلى صالح الشعب التونسي و منح دستور يحمي الشخصية التونسية و يقر بسيادة الشعب بواسطة تكوين برلمان تونسي منتخب بالاقتراع العام ، و بإنشاء حكومة مسؤولة أمام هذا البرلمان و فصل سلطات الحكومات الثلاثة و التعليم الاجباري لحماية اقتصاد البلاد.[1]

كان الحزب الدستوري الجديد يواجه صعوبات جمة عندما دخل **صالح بن يوسف** تونس في صائفة 1934م ، فاللجنة التنفيذية – **قيادة الحزب الدستوري الحر الأول** – تعمل ما في وسعها لمحاصرة عمله حفاظاً على قواعدها القليلة و تندد بقيادة الحزب الجديد ، وذلك لانشقاقهم عن صفوف الحركة الوطنية حسب ادعائها .[2]

و تمثل الفترة الممتدة ما بين 1934م–1945م بداية المسيرة النضالية **لصالح بن يوسف** في صفوف الحزب الدستوري الجديد الذي تقلد فيه قيادة الحزب من خلال تعيينه أمين عام للحزب ، حيث انضم **صالح بن يوسف** إلى الحزب الدستوري التونسي الجديد منذ مراحله التأسيسية الأولى ، و كان لذلك أهمية كبيرة من عدة نواحي :

- من الناحية الاقتصادية ستوفر شخصية مثل **صالح بن يوسف** للحزب دعم كبير لاسيما في بداية تأسيسه.[3]
- أما من الناحية الاستراتيجية فإن لا أحد من أعضاء الحزب الدستوري يشكك في أخلاقيته للقضية الوطنية و ما يتملكه من تاريخ نضالي متميز ضمن صفوف الحركة

---

(1) الشايب قدادرة :المرجع السابق ، ص125 .

(2) منصف الشابي :المرجع السابق ، ص47 .

(3) نعمة بحر فياض : " **دور صالح بن يوسف في الحزب الدستوري التونسي الجديد 1934م – 1935** م ، مجلة أدب الفراهدي ، العدد 15 ، تكريت ، 2013م ، ص314 .

الطلابية في داخل تونس و خارجها ، فضلاً عن علاقته الواسعة مع قادة الحركة الوطنية و أعضاء الديوان السياسي الأول لاسيما **الطاهر صفر** الذي كان من أكثر أعضاء الحزب تحمساً لانضمام **صالح بن يوسف** إلى صفوف الحزب.[1]

بدأ **صالح بن يوسف** نشاطه في الحزب الدستوري التونسي ضمن تشكيلة المكتب السياسي الثاني و الذي تشكل في 04 مارس 1934م حيث برزت شخصيته في المؤتمر التأسيسي له.[2]

وعلى إثر الخلافات التي كانت قائمة بين أعضاء الحزب حول أسلوب العمل الوطني و مواجهة الاحتلال الفرنسي و على إثر حملات الاعتقال التي قامت بها سلطات الحماية الفرنسية على كل من رئيس الحزب **محمود الماطري** و الأمين العام للحزب **الحبيب بورقيبة** ، فضلاً عن عدد من أعضاء الديوان السياسي الأول الذي أعلن عن تأسيسه في مؤتمر **قصر الهلال** المنعقد في 02 مارس1934م ، و تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد ، فكان لابد من تعويضهم بأعضاء جدد و حتى يتمكن الحزب من مواصلة نشاطه السياسي و قيادته للحركة الوطنية.[3]

يتركب المكتب السياسي المنبثق عن مؤتمر **قصر الهلال** كل من **الدكتور محمود الماطري** رئيساً ، و **الحبيب بورقيبة** أميناً عام ، و **الطاهر صفر** أمين عام مساعد و **محمد بورقيبة** أميناً للمال ، و **البحري قيقة** مساعداً له ، لكن اجتماعات هذه القيادة لم تكن مغلة ، فكثيراً ما كان بعض المناضلين يحظرونها و يبدون الرأي فيها .

---

[1] محمد ضيف الله : المرجع السابق ، ص11 .

[2] عبد الوهاب الكيالي :، ج3 ، المرجع السابق ، ص 548 .

[3] نعمة بحر فياض : المرجع السابق ، ص311 .

انضم إليها الزعيم **صالح بن يوسف** بمجرد أن عاد إلى أرض الوطن و لئن كان **الطاهر صفر** من أكثر أعضائها تحمساً إلى انضمامه ، فلم يكن هناك من يعترض على ذلك نظراً للسمعة الطيبة و النضالية التي يتحلى بها **صالح بن يوسف** ، كان **صالح بن يوسف** لا يتخلف عن موعد يخاطب فيه الشباب و يدعوهم إلى الالتحاق بصفوف الحزب و يحرض الشعب في المدن و القرى على المطالبة بحقوقه خاصة يحقه في الحرية .

دخل **بن يوسف** الساحة الوطنية من بابها الكبير برأته إلى المرتب الأولى فيها نضالاته ووعيه و قدرته على مخاطبة الجماهير بمختلف أجيالها و أوضاعها الاجتماعية .[1]

تمثل نشاط **صالح بن يوسف** في اتجاهين ، الأول موجه ضد الإقامة العامة و حكومة الباي والمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين من الحزب الحر الدستوري المحتجزين لدى سلطات الحماية الفرنسية ، و الاتجاه الاني تمثل في مواصلة جولاته الدعائية في البلاد ،وهذا من أجل كسب المزيد من المؤيدين للحزب الجديد.[2]

بعد اعتقال **الحبيب بورقيبة** و **محمد بورقيبة** و **محمود الماطري** في 03 سبتمبر 1934م ، و تكون المكتب السياسي الثاني من العضوين المتبقيين في المكتب الأول هما **البحري قيقة** و **الطاهر صفر** بالإضافة إلى **صالح بن يوسف** و كانت الأحداث تتسارع والمناضلون تهددهم السلطات الفرنسية و تتوعدهم بالقمع ، و من باب الاحتياط قرر المكتب السياسي الثاني تكوين فريق يعوضه عند الضرورة و يتركب من بعض الوجوه المعتدلة أمثال **الشاذلي خير الله** و **البشير القواتي** و **نور الدين الزاوش** و **الطاهر الزاوش** و**السويسي** و**توفيق بن الشيخ** ، ولكن الاهتمام الأساسي **لصالح بن يوسف** ضمن التشكيلة الضيقة

---

[1] منصف الشابي : المرجع السابق ، ص ص53،48 .

[2] نعمة بحر فياض: المرجع السابق ، ص315 .

التي يمثلها المكتب السياسي الثاني كان بدون شك لربط الصلة بين القيادة والشعب الدستورية في كامل أنحاء البلاد.[1]

قدم **صالح بن يوسف** مذكرة باسم المكتب السياسي للحزب إلى المقيم العام الفرنسي يطالب فيها بالإفراج عن المعتقلين و في هذا انتهز **صالح بن يوسف** فرصة زيارة **الباي أحمد بن الحبيب** إلى الجامع الكبير في 01 نوفمبر 1935م لدعوة أبناء الشعب التونسي للخروج في مظاهرات ، و هذا عن طريق توزيع المناشير في سرية تامة من خلال الشعب الدستورية المنتشرة في البلاد لحضور التجمع و مطالبة الياي بالتدخل لدى سلطات الحماية و الافراج عن جميع المعتقلين .[2]

لم تسمح الإقامة العامة بذلك النشاط الكبير **لصالح بن يوسف** و شعرت بأن هذا التوسع والدعاية بهذا الحجم أصبح يشكل خطر كبير على المصالح الفرنسية ألقت القبض عليه يوم 03 جانفي 1935م على مجموعة المكتب السياسي الثاني و من بينهم الزعيم **صالح بن يوسف** و معهم عدد من المناضلين نذكر منهم **الهادي شاكر** من صفاقس و **الحبيب بورقيبة** من بنزرت.[3]

والحقيقة أن لجوء المقيم العام غلى حملة الاعتقالات و النفي تؤكد بحد ذاتها على نضج الحركة الوطنية و تطورها ، فضلاً عن اتساع قاعدتها الشعبية و مؤيديها في البلاد التونسية ، و لمواجهة حملات الاعتقال و الملاحظة للعناصر الوطنية ، قرر **صالح بن يوسف** قبل اعتقاله تشكيل ديوان سياسي ثالث يعمل على مواصلة العمل الحزبي عند الضرورة.[4]

---

[1] منصف الشابي : المرجع السابق ، ص53،54 .

[2] نعمة بحر فياض: المرجع السابق ، ص 312 .

[3] الطاهر بن عبد الله : المرجع السابق ، ص198 .

[4] نعمة بحر فياض: نفسه ، ص 314 .

تشكل الديوان السياسي الثالث و كان أعضاءه شخصيات من الحزب الدستوري الجديد وهذا ما عكس لنا قدرة **صالح بن يوسف** على معالجة الأحداث و المحافظة على مسيرة الحزب ، حيث اختار **صالح بن يوسف :** " **الشاذلي خير الله** " رئيس للدوان السياسي و هذا لتمتعه بذكاء سياسي و خبرة سابقة في هذا المجال فضلاً عن ما عرف عنه من عدم التسرع في اتخاذ القرارات و لعلاقته الجيدة مع المقيم العام الفرنسي ، و هذا ما ساعد الحزب على الاستمرار في نضاله على الرغم من غياب قيادات الحزب.[1]

زار الجنيرال **أزان** في العاشر من أفريل 1935م ، سجناء برج السيوف و خاطبهم مهدداً ومتوعداً ، طالباً منهم الاعتذار لفرنسا عن الأعمال التي قاموا بها دهاء متنكرين لجميلها وللخدمات الجمة التي قدمتها لتونس و لشعبها حسب قوله ، و في يوم 16 أفريل 1935م اجتمع المكتب السياسي للحزب في برج القصيرة برئاسة الدكتور **الماطري** وبحضور كل من : **الطاهر صفر** و **الحبيب بورقيبة** و **البحري قيقة** و **صالح بن يوسف** و**محمد بورقيبة** .[2]

دار الحوار حول رسالة يوجهها الديوان السياسي إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة الفرنسية الجنيرال **آزان** ، يفسرون فيها موقف الحزب في الوضع الراهن و مطالبه العاجلة دون اللجوء إلى إبراز وجوه الخلاف مع فرنسا بشكل حاد.[3]

و الغرض من ذلك مساهمة الحزب في تهدئة الأوضاع و كسب المزيد من القوة و من الشعبية لتوفير حظوظه في السير بالحركة الوطنية و إلى تحقيق مطالب الشعب التونسي وفي الحركة و الاستقلال .[4]

---

[1] منصف الشابي : المرجع السابق ، ص56 .

[2] محمد ضيف الله :المرجع السابق ، ص12 .

[3] احمد القصاب : المرجع السابق ، ص225 .

[4] نعمة بحر فياض :المرجع السابق ، ص314 .

أمضى **بورقيبة** و رفقائه على الرسالة الممضاة من طرف المنقبين مثل الدكتور **محمود الماطري** و **محمد العكرمي بن زروق** و **الحبيب بورقيبة** و **الهادي شاكر** و **الخميس بلحسن** و **محي الدين** و **القليبي علي** ، و كلاهما من الحزب الدستوري القديم ، و **يوسف الرويسي** و **الصادق حميدة** و **لعيد الخياري** ، أما القول بأن **بورقيبة** اضطر للإمضاء عليها لأنه خشي أن لا يشق صفوف الحركة الوطنية فهو أمر مرفوض لأن **بورقيبة** لم يتورع في أي مناسبة سابقة أو لاحقة من الانفراد برأيه كلف ذلك الحكومة ما كلفها.[1]

وجهت الرسالة الأولى إلى الجنرال **آزان** يوم 15 أفريل 1935م ، و يقال بأن **الحبيب بورقيبة** عارضها و امتنع على إمضائها ، انفرد **محمد بورقيبة** بموقف ضعيف استعطف فيه المقيم العام و جلب له بعد إطلاق سراحه احتقار من طرف رفاقه في الكفاح و جماهير الشعب التونسي.[2]

أما **الحبيب بورقيبة** وجه في جانفي 1936م رسالة إلى المقيم العام **بيراطون** يؤكد فيها له " أنني لم أفكر أبداً في مقاومة فرنسا و لم يتسرب إلى عقلنا الشك في صلاحيات فرنسا ولا حدثتنا بمقاومة فرنسا مبدأ الحماية ، كما نصت عليها معاهدة **بارود** .. بل أنه غير مسموح مقاومة الحماية باعتبارها طريق نحو إنعتاق الشعب التونسي تدريجياً و دخوله عالم الحضارة عن طريق الإصلاحات المناسبة ، و أنا علمنا أن السياق لا يخرج عن إطار الشرعية و إنها لا تعدو أن تكون محاولة جلب انتباه المسؤولين إلى بعض نقاط الضعف في آلية الحماية و البحث مع فرنسا عن سبيل تجانس مصالحها في تونس مع مطالب الشعب التونسي المشروعة.[3]

---

[1] منصف الشابي :المرجع السابق ، ص53 .

[2] محمد ضيف الله : المرجع السابق ، ص12 .

[3] محمد الطاهر خوجة : المرجع السابق ، ص209 .

كانت مواقف **صالح بن يوسف** طول إقامته بالسجن تتميز بالشجاعة و لم يخشى تهديدات الإدارة الفرنسية بتسليط العقوبات عليه ، كما اهتم **صالح بن يوسف** خلال فترة سجنه بتعميق الحوار السياسي مع المناضلين السياسيين التونسيين ، و حثهم على التماسك ضد المستعمر.[1]

أما فيما يخص موقفه من الحرب العالمية الثانية فقد كان يرى منذ البداية بمعية **الحبيب بورقيبة** بأن الحلفاء سيتنصرون ، و بعد انهزام فرنسا أمام ألمانيا أطلق سراح **صالح بن يوسف** مع بقية رفقائه يوم 23 ماي 1936 فعادوا إلى تونس ، وذلك بعد أن غيرت فرنسا المقيم العام **بيراطون** ونقلته إلى المغرب و تعويضه بمقيم عام جديد هو **أرمان غيون** (Armand Guillon) ، 1936-1938 م ، و بخلاف ما كانت تعتقد سلطات الحماية فإن قادة الحركة الوطنية قد عادوا إلى سالف نشاطهم السياسي بالوقوف بوجه سياستهم ، معتمدين في الوقت نفسه على درجة من النضج التي بلغتها الجماهير الشعبية التونسية في ضوء التغيرات الداخلية التي حدثت داخل فرنسا بعد وصول حكام فرنسا الجدد إلى سدة الحكم و تشكيل حكومة الجبهة الشعبية باستلام قيادة الحكم لـ **بلوم فيوليت** 1936 م.[2]

عاد قادة الحركة الوطنية إلى تونس على دفعتين يوم 26 فيفري 1943م ، يتقدمهم **صالح بن يوسف** و الدفعة الثانية يوم 09 أفريل 1943م يتقدمهم **الحبيب بورقيبة** .[3]

بعد خروج **صالح بن يوسف** من السجن في 26 فيفيري 1943م ، عاد إلى تونس ليواصل حركة النضال ضد فرنسا ، فعلاً بالرغم من قساوة السجن ، إلا أن هذه التجربة زادته عزماً و حماساً ، و هذا ما ساعده على احتلال الصدارة في النضال الوطني . [4]

---

[1] محمد ضيف الله :المرجع السابق،ص16 .

[2] منصف الشابي : المرجع السابق ، ص60

[3] نعمة بحر فياض :المرجع السابق ، ص314 .

[4] عبو نجاة : المرجع السابق ، ص98 .

عمل **صالح بن يوسف** على ثلاثة اتجاهات في الفترة ما بين 1943م-1945م حيث سعى إلى تعبئة أكبر قدر ممكن من الوجوه التونسية و إلى وسائل ضغط على الحكومة الفرنسية و المطالبة بعودة المنصف الباي إلى تونس باعتباره رمز السيادة الوطنية و فرض حق البلاد التونسية في تقرير مصيرها ، فكانت كلمة الاستقلال قد دخلت بقوة في لغة القادة الوطنيين و أصبح يديرها الخاص و العام .[1]

وقد سعى **صالح بن يوسف** إلى إعادة تنظيم صفوف الحزب الدستوري بعد أن تفرقت أعضاءه و تلاشت ، بفضل القمع و سجن مناضليه و غياب قيادته السياسية و من جهة ثالثة تحرك **صالح بن يوسف** لتوحيد القوى الوطنية لإدارته ، لأن فرنسا مهما حاولت فلن تكون قادرة على مواجهة كل مستعمراتها في آنٍ واحد ، و تعيد بناء ما هدمته الحرب العالمية الثانية .[2]

المبحث الرابع : قيادة صالح بن يوسف للمفاوضات مع حكومة الجبهةالشعبية

لقد أفرز التوسع الرأسمالي الذي شمل جوانب عديدة من الاقتصاد و المجتمع والانتشار النسبي للثقافة الغربية الأوروبية و نمط العيش الأوروبي جيلاً جديداً ميالاً إلى سماع خطاب جديد و توخي أساليب نضالية جديدة ، و عليه فإن الصراع الذي قام بين الجيلين القديم والجديد كان يخفي في حدوده صراع جيلي.[1]

---

[1] منصف الشابي :المرجع السابق ، ص99 .

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق ، ص 17 .

[1] تأليف ثلة من الأساتذة : " موجز الحركة.....، المرجع السابق ، ص90 .

يقول **أحمد توفيق المدني :** " خف الحماس و أخذت الجماهير تنفض من حول الجماعة مفتشة عما يشبع و يغذي عاطفتها إلى أن قيض الله للشعب التونسي شاباً من المتخرجين حديثاً من الجامعات بفكرة جديدة و روح جدية و أساليب جديدة ، فكان الخلاف و الانشقاق اولاً ثم تغلب الجيل الجديد على الجيد القديم ، ثم كان انتصار الجديد حاسماً وفاصلاً.[2]

و لقد لقي خطاب العناصر الدستورية الجديدة استحساناً و صدى لدى الأوساط الدستورية ، و في سجل فيه اقبال عدد هام من المنخرطين الشبان و هم العناصر المكونة للتحركات الجماهيرية منذ 1930م و المتعطشة للفعل و التي وجدت في القيادة القديمة عامل معطل لطاقتها ، و هذا ما يفسر الانخراط الواسع و المكثف للشبان في صفوف الحزب الدستوري الجديد.

كما شهدت فترة الثلاثينات تبدلاً في الأذواق و في السلوك و العقليات لعدد من التونسيين ، فظهرت أشكال جديدة في الأدب ، الشعر ، القصة ، و أنماط جديد في الليسانس (الليسانس الأوروبي) و تطور بعض العادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية(كالاحتفالات ، الأعراس و الشعائر الدينية ..) بالإضافة إلى تطور الإدمان على الكحول والإجرام ، فجيل الثلاثينات كان يبحث عن معان و معالم جديدة ترفض القديم والمؤسسات و الهياكل الثقافية (الزيتونة) ، و الاجتماعية (العائلة) ، لتمس فيها بعد الدائرة و من ضمنها حزب الدستور.[1]

كان المقيم العام الفرنسي في تونس " **بيراطون** " يعتمد على سياسة الترهيب و الترغيب وسياسة التهدئة و على سياسة الاحتواء كل من ناحية ، فقد عاد الجميع إلى مساندته للقيام بإصلاحات ضرورية مهدداً بدوره للرافضين و المشوشين له و ذلك باستعمال القمع ضدهم

---

[2] أحمد توفيق المدني: " **حياة كفاح (مذكرات)** " ، ج2 ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010م ، ص201، 202 .

[1] تأليف ثلة من الأساتذة: موجز الحركة .....، المرجع السابق ، ص91 .

للحفاظ على النظام العام و تهيئة لجو القمع الذي ستفرضه على البلاد ، انطلق من كل ذلك في تطبيق سياسته القمعية .[2]

كان الوضع في صيف 1934م شديد التوتر ، فالأزمة الاقتصادية و الاجتماعية لم تخف وطأتها و كان الضرف مناسب لتصاعد الكفاح الوطني في وقت اشتدت فيه التناقضات بين الشعب التونسي و السلطة الاستعمارية و الفئات التي تمثلها ، و تغيرت فيه التوازنات السياسية و الاجتماعية و تجلى ذلك في تحول التحالفات في معسكر الجالية الفرنسية بانضمام قسم هام من الموظفين الذين يشكلون القاعدة الأساسية لفرع الحزب الاشتراكي في تونس إلى صف التشكيلات اليمينة. [3]

لقد خلق الحزب الدستوري الجديد جو من التعبئة العامة داعية المكان إلى اتباع نداءات المقاطعة الاقتصادية و إلى العصيان المدني فأغلقت المغارات و خربت القطارات و نظمت المظاهرات الشعبية .

و في هذا الجو المتفجر سارع **بيراطون** المقيم العام الفرنسي إلى استعمال مجموعة من القوانين الزجرية التي تمثلت في :

- قرار 03 ديسمبر 1934م المتعلق بالإبعاد الإداري ففي ذلك اليوم اعتقل حوالي 08 أشخاص دستوريين من بينهم **محمد بورقيبة ، الحبيب بورقيبة ، الماطري محمود** و ستة شيوعيين ، كما تم تعطيل جريدة العمل التونسي ، و كشف **بيراطون** عن الحقيقة التي كانت وراء تطبيق الأوامر الزجرية الاستثنائية و القمع المسلط على

[2] منصف الشابي :المرجع السابق ، ص61 .

[3] تأليف ثلة من الأساتذة : نفسه ، ص92 .

المواطنين أنه كان يرمي إلى المحافظة على هيبة فرنسا و مصالح جاليتها و إلى كل المتعاونين مع فرنسا.[1]

تحرك الشارع التونسي للاحتجاج على اعتقال و نفي الزعماء الوطنيين ، فقد اندلعت المظاهرات و الاضطرابات و المواجهات العنيفة بين الأهالي و السلطة الإدارية و الأمنية في مناطق مختلفة من البلاد خصوصاً في جهة الساحل معقل الحركة الوطنية و الدستورية ، و عرف المكنيين يوم 5 سبتمبر أحداث دامية و تكررت أعمال الاحتجاج على إجراءات القمع بقيادة الديوان السياسي الثاني و الثالث و الرابع ما بين جانفي 1935م و فيفري 1936م مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين و المبعدين و كان منشطها الأساسي طلبة جامع الزيتونة .[2]

كل ذلك ساهم في تطلب الحركة الوطنية و لم يعد بإمكان التعسف و القمع ان يدوم طويلاً ، فالوضع المتخرج في بداية تونس1936م و الحملات العنيفة التي شنتها صحف الأحزاب اليسارية و الديمقراطية ضد دكتاتورية المقيد العام الفرنسي " **بيراطون** " ، و هذا ما أثار قلق الحكومة الفرنسية خصوصاً أن الوضع في فرنسا أصبح يضم الاشتراكيين والشيوعيين .

و في هذا الإطار جاء قرار لتعويض " **مارسيل بيراطون** " بمقيم عام فرنسي جديد وهو " **أرمان غيون** " ، " **Armand Guillon** " ، يوم 21 مارس 1936م و الذي حل بتونس يوم 14 أفريل .[1]

---

[1] منصف الشابي : المرجع السابق ، ص62 .

[2] عبد الكريم عزيز: المرجع السابق ، ص209 .

[1] تالف شلة من الاساتذة الباحثين :" موجز الحركة .....، المرجع السابق ، ص92 .

لقد استبشر قادة الحركة الوطنية التونسية بخبر وصول حكومة الجبهة الشعبية عام 1936م ، إلى مقاليد الحكم في فرنسا ، بعد قرار مرشحها السيد **ليون بلوم**[2] التي كان اول إجراء لها هو تعيين مقيم عام فرنسي جديد و هو السيد " **أرمان غيون** " الذي أصدر قرار بالعفو العام عن المعتقلين السياسيين حال وصوله إلى فرنسا و شمل قرار العفو ذلك المبعدين إلى الخارج .

واتضح مما سبق بأن فوز الأحزاب اليسارية في الانتخابات التشريعية الفرنسية لعام 1936م و تشكيل حكومة بقيادة اشتراكية تساندها مساندة حقيقية في نفس الوقت من الحزب الشيوعي في تطبيق برنامج التجمع الشعبي ، إذ هيأت الظروف الملائمة للقيادات الوطنية كان **صالح بن يوسف** لأحد أطراف وحركة النضال الوطني للحركات الوطنية في لدان المغرب العربي و التي تخضع للاحتلال الفرنسي.[3]

ها الذي كانت له الزعامة الداخلية في تونس من أن تم تعينه كأمين عام في تونس للحزب الدستوري في 1936م ، أما قيادة الحزب الدستوري الجديد في الخارج فكانت الزعامة بقيادة **الحبيب بورقيبة.**[4]

لم يكن لحكومة الجبهة الشعبية سياسة موحدة وواضحة اتجاه كل المستعمرات الفرنسية ، وعلى الرغم من ذلك فقد شكل وصول هذه الحكومة إلى مقاليد الحكم في فرنسا إلى إيجاد أجواء من الثقة في داخل و خارج فرنسا ، فكان شعور متبادل لدى كافة الحركات الوطنية المعادية للاحتلال و التي رفضت كل أشكال الهيمنة ، فكانت تونس في تلك الفترة تعيس أوضاع اجتماعية و اقتصادية متردية كما كانت تعيش تحت حكم المقيم العام الفرنسي

---

(2) ليون بلوم : سياسي فرنسي و رجل دولة تولى رئاسة فرنسا بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية 1936م ، من أصول يهودية ، من أشهر الكتاب و الأدباء الفرنسيين / و من مؤسسي اللجنة الاشتراكية من أجل فلسطين ن انضم إلى الوكالة اليهودية ، أنظر: م . عبد الرحيم : **"موسوعة مشاهير و عظماء و شخصيات من العالم"** ، دار البدر للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2012م ، ص220 .

(3) حمدي حافظ و آخرون : **" تونس المعاصرة "** ، دار القاهرة للطباعة و النشر ، القاهرة ، د س ، ص46 .

(4) منصف الشابي : المرجع السابق ، ص63 .

بيرطون الرهيبة ، و الجماهير التونسية لا تتمتع بالحرية فقد جاء الإعلان عن وصول حكومة الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا بمثابة الإعلان عن مرحلة جديدة لإعادة الأمل إلى قادة الحكومة الوطنية التي أبدت استعدادها للتعاون مع القوى الديمقراطية الفرنسية في سبيل تحقيق الأماني الوطنية و الاستقلال الكامل لتونس.[1]

لقد كان الانتصار الذي حققته حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية في الانتخابات الرئاسية الفرنسية عام 1936م قد منحت للشعوب الخاضعة للاحتلال الفرنسي أمالاً كبيرة للتخلص من الهيمنة و الاستعمار الفرنسي و لاسيما بعد إطلاق حكومة الجبهة الشعبية لبرنامجها التمهيدي.[2]

استقبله الشعب التونسي بإيجابية و تفاؤل كبير فقد وجدت تلك التصريحات التي أدلى بها زعماء الجبهة الشعبية بإتباع سياسة جديدة من قبل السلطات الفرنسية اتجاه المناطق الخاضعة لها فأعطت هذه التصريحات أمال كبيرة لقادة الحركة الوطنية التونسية بأن تقوم سلطات الحماية الفرنسية بإعادة الحركات التي صودرت من قبل سلطاتها في السابق.

اتبع قادة الحركة الوطنية سياسية الحوار مع حكام فرنسيا الجدد أملاً في الحصول على حلول عاجلة للمشاكل التي خلفها المقيم العام الفرنسي السابق **بيراطون** في البلاد على السياسة الفرنسية اتجاه قادة الحركة الوطنية.[1]

انطلقت سياسة الحوار مع أعضاء الديوان السياسي و مع حكومة الجبهة الشعبية في أيار 1936م إلا أنها اصطدمت بأهداف التجمع الفرنسي الذي كان يرغب في التوصل إلى

---

[1] نعمة بحر فياض : المرجع السابق ، ص ص317 ، 318 .

[2] زهير الداودي : " **تطور الحركة الوطنية التونسية 1929م – 1939 م** " ، دار القلم للنشر و التوزيع ، تونس ، 1982م ، ص117 .

[1] عبد الكريم عزيز: المرجع السابق ، ص248 .

حلول مع قادة الحركة الوطنية في تونس ، أبدى التجمع الفرنسي خشيته من تطور الوضع الداخلي في فرنسا نحو الاستجابة لمطالب الحركة الوطنية التونسية.[2]

عملت هذه السياسة على تهديد مصالح المستوطنين الفرنسيين في تونس على المستويين البعيد و القريب كما استهدف قادة التجمع الفرنسي من وراء تلك السياسة أن يستطيع حكم فرنسا فهم الخطر الكبير الذي تتعرض له المصالح الفرنسية فقد شدت قادة التجمع على حكومة الجبهة الشعبية مستغلين حجم العلاقة الوطيد التي تربطهم بزعماء اليمين داخل البرلمان الفرنسي على التمسك بالمصالح الفرنسية داخل البلاد التونسية و عدم التسرع في إعطاء الوعود بالاستقلال لأن ذلك سيؤثر في النهاية على المصالح الاقتصادية لفرنسا ومصالح المستوطنين داخل تونس.[3]

سعي أعضاء الديوان السياسي إلى الحوار مع الحكومة الفرنسية الجديدة أملاً في الوصول إلى نتائج إيجابية حول الاستقلال ، و في هذا المجال أوفد الديوان السياسي **الحبيب بورقيبة** إلى باريس في 16 جويلية 1936م ، و اتصل بشخصيات فرنسية سياسية و بعدد من أعضاء البرلمان الفرنسي ، فالتقى بـ " **بيار فينو**" ، " **Pierre venue**" ، كان يشتغل منصب كاتب الدولة المساعد لوزير الخارجية في تقرير مصيره و حقه في الاستقلال التام.[1]

عاد **الحبيب بورقيبة** إلى تونس وسط تفاؤل كبير بشأن نتائج الزيارة التي قام بها إلى فرنسا و بشر الشعب التونسي باقتراب موعد التحرير ، و ألقي هذا الخطاب في حديقة **طبطة** الواقعة في إحدى ضواحي العاصمة التونسية ، و هذا الخطاب كان قد أعاد الأمل إلى

---

[2] زهير الداودي : المرجع السابق ، ص119 .

[3] نعمة بحر فياض : المرجع السابق ، ص319 .

[1] جلال يحي : المرجع السابق ، ص 1023 .

صفوف الجماهير الشعبية في تونس التي عانت سنين الجوع و الحرمان و الممارسات القمعية التي عاشتها تونس في ظل الحماية الفرنسية.

حاولت حكومة الجبهة الشعبية أن تعطي لنظام الحماية الفرنسية صفته الشرعية كونه يرتكز إل معاهدة الحماية (المرسى) الموقعة بين حكومة الباي و الحكومة الفرنسية ، هذه النظرة تمسكت بها كل الحكومات الفرنسية السابقة ، أما الوطنيون التونسيون بقوا ضمن حدود بنود معاهدة الحماية و أنهم متفقون على مبدأ الاستقلال يكون عبر مراحل.[2]

تشكل وفد دستوري يرأسه **محمود الماطري** و بعصوية الزعيم **صالح بن يوسف** و**سليمان بن سليمان** و **الطاهر صفر** و **البحري قيقة** ، التقى هذا الوفد في 20 شباط 1937م مع السيد " **بيار فينو** " الذي ارتقى إلى منصب وزر الخارجية أثناء الزيارة الأخيرة لتونس الذي استغرقت 5 أيام من 18 –24 شباط 1937م ، كان الالتقاء بخصية مسرولة بهذا المستوى يعد مكسباً و انتصاراً جديداً بالنبة للحزب الدستوري الجديد و لقادة الحركة الوطنية الذ يعود فضله إلى خبرة "**صالح بن يوسف** "في هذا المجال .[3]

دارت المناقشات بين **صالح بن يوسف** و المسؤولين الفرنسيين إذ اتضحت " **لصالح بن يوسف** " نوايا فرنسا و رغبتها في مواصلة سيطرتها على الأوضاع العامة في تونس و في الحفظ على المصالح و الامتيازات التي يتمتع بها المستوطنين الفرنسيين .

في حين صرح **الحبيب بورقيبة** من باريس حول إيجابيات الحوار مع الجانب الفرنسي دون استشارة أعضاء الديوان الفرنسي.[1]

---

[2] منصف الشابي: المرجع السابق ، ص63 .

[3] نفسه ، ص63 .

[1] نعمة بحر فياض: المرجع السابق ، ص319 .

كانت نتائج هذا اللقاء بمثابة خيبة أمل للوفد التونسي و لم تجدد مطالب الوفد التونسي التي تضمنت المطالبة بمنح تونس لاستقلالها التام و بقيام نظام دستوري لتونس .[2]

تزايدت الأوضاع العامة في تونس تأزماً في نهاية 1937م فتعالت الأصوات للمطالبة بالإصلاحات التي وعدت بها حكومة الجبهة الشعبية التي صرح بها وزير الخارجية الفرنسي عبر الإذاعة التونسية.

فوجه **صالح بن يوسف** دعوة إلى الجماهير الشعبية للقيام بعدة إضرابات للمطالبة بحقوق الشعب التونسي و للمطالبة بتحسن حالة العمال التونسيين و المطالبة بالمساواة بين التونسيين و الفرنسين و لدفع الحكومة الفرنسية للاعتراف بحق الشعب التونسي .[3]

لكن جاء رد السلطات الفرنسية مخيباً لأمال الشعب التونسي و لقادة الحركة الوطنية ولأعضاء الديوان السياسي التي كانت تعلق أمالاً كبيرة في الحصول على حقوق تونس في الحرية و الاستقلال ، إذ أنها أنهت مدة حكمها الأولى في تموز 1937م بموجة من العنف و التي رافقتها اضطرابات عمالية شملت كافة أنحاء البلاد.[4]

[2] منصف الشابي : المرجع السابق، ص 63 .

[3] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص323 .

[4] عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ، ص 294 .

الفصل الثالث:صالح بن يوسف بين الحكم الذاتي والاستقلال التام.

الفصل الأول :المفاوضات التونسية الفرنسية وموقف صالح بن يوسف منها ومن الحكم الذاتي.

الفصل الثاني:صالح بن يوسف وتدويل القضية التونسية.

الفصل الثالث:الصراع اليوسفي البورقيبي واستمرار المقاومة المسلحة.

الفصل الرابع:موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية.

المبحث الأول: المفاوضات التونسية الفرنسية وموقف صالح بن يوسف منها ومن الحكم الذاتي

إن المفاوضات الفرنسية التونسية لم تلجئ إليها فرنسا إلى بعد عجز جيوشها وقاداتها في القضاء على الكفاح المسلح وعلى المنظمة الإرهابية التي تمثلت في "**اليد الحمراء**".[1]

والتي سقط على يدها الكثير من الشهداء التونسيين ومنذ أفريل 1954 كانت فرنسا قد تورطت في الهند الصينية بحرب انتهت بمعركة " **ديان بيان فو**".

-وفي 18 جون 1954 وفى رئيس الحكومة لفرنسية "**منداس فرانس**"رئاسة الحكومة الفرنسية لإنقاذ فرنسا من إفلاسها الإستعماري في أسيا وفي إفريقيا وقد أدلى أثناء تنصيبه بتصريح التالي :"**إنني لا أقبل أي تردد ولا أي تحفض لتحقيق الوعود التي قدمنها إلى الشعوب التي علقت ثقتها فينا ،فلقد وعدناها بتمكينها من إدارة شؤونها بنفسها** ".[2]

-سارعت الحكومة الفرنسية بعد إنهاء مفاوضات جنيف مع الفيتنام إلى محاولة الإتصال مع زعماء الحركة الوطنية التونسية .

-تم الإتصال بين الحبيب بورقيبة و "**بيار منداس فرانس**" سرا وهذا إلا طلاعه على المبادرة الفرنسية وهو في قطر "لافيرتي " بفرنسا ،وعن ذالك يقول الحبيب بورقيبة "**وعند ئذ طلب السيد منداس فرانس مقابلتي بصورة سرية**".[3]

وفعلا تمت المقابلة في منزل السيد سماحة صاحب الصحيفة "**كومبا**" وإستعرض أمامي الوضع السيء الذي أصبحت عليه الحكومة الفرنسية بسب المعارك التي خلفتها

---

[1]-اليد الحمراء: هي منظمة تكونت في معظمها من رجال البوليس وكانت تخطط على هامش كل إطار شرعي اختطاف الزعماء الوطنين واعتقالهم وهي أعمال لم تجد لها العدالة الفرنسية شيئا من الحجج أو البراهين ،ومن أهم الشخصيات التي إغتالها ،النقابي فرحات حشاد ، محمد الهادي شريف ،المرجع السابق ،ص135.

[2]-أحمد القصاب :المرجع السابق ص 648.

[3]-الحبيب بورقيبة :"**حياتي أرائي جهادي** "، نشريات كتاب الدولة للإعلام ،تونس ،1978،ص209.

وخسرت فيها تونس منها ثورة الجزائر وتونس والمغرب الأقصى لاحقا ،وإستفسر عن الوضع و الحل ،فقلت إنكم تطاردون المقاومين في تونس وهم يدافعون عن أنفسهم ،وعرضت عليه أن يعدني بكف الجنود الفرنسين عن ملاحقة ومطاردة الفلاقة.[1]

مقابل أن أصدر لهم الإذن بتسليم أسلحتهم لأن السلطة الفرنسية وإنما اللجان الحرية تتولى بدورها تسليمها للحكومة فقبل الإقتراح. [2]

-وفي 30 جويلية 1954 صادق مجلس الوزراء الفرنسي على مبدأ منع الإستقلال الداخلي لتونس ،وسميت الاتفاقية" **بإتفاقية الحكم الذاتي**". [3]

-وفي 31 جويلية 1954 زاد "**بيار منداس فرانس**"تونس مرفوقا بالمرشيال "**جوان** "والسيد كريستانن فوشي وزير الشؤون التونسية والمغربية بصحبتهم المقيم العام التونسي الجديد في تونس "**بويي دولا تور**"توجهو كلهم إلى قصر قرطاج حيث أعلن فيه رئيس الحكومة الفرنسية منداس فرانس عن الإستقلال الداخلي لتونس.

دور الحبيب بورقيبة في منفاه يوم 01 أوت 1954 قائلا ":أن هذه المقترحات تمثل مرحلة هامة وحاسمة في طريق إعادة السيادة الكاملة للبلاد التونسية ،وأن الإستقلال هو الهدف والأسمى للشعب التونسي ولكن السير نحو الهدف لن يكتسي بعد اليوم بطبيعة الصراع بين الشعب التونسي وفرنسا[4]

-إقترح مندس فراس تشكيل حكومة تونسية جديد ،لها صلاحيات واسعة لكي تكون المخاطب الرسمي لفرنسا بإسم الشعب التونسي وباسم الباي في المفاوضات والتي وعد

---

[1]-الفلاقة :هو التعبير الشعبي الذي أطلق على الثوار المحاربين ،وتضم كلمة فلاقة قطاع الطرق أو الرجال أصحاب الفتوة ،شاعت هذه الكلمة في أوساط الدستورين كما في الإدارية الفرنسية وهي تعادل اليوم الإرهابين ،السعيد صافي ،المرجع السابق ،ص190 .

[2] -الحبيب بورقيبة :المصدر السابق ،ص209.

[3] -عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ،ص546.

[4] خليفة الشاطر وأخرون : المرجع السابق،ص169 .

بانطلاقها في أقرب الأجال لضبط شروط الإستقلال الداخلي وطبيعة العلاقات التونسية في الفترة التونسية في الفترة القادمة.[1]

-ومما جاء في كلمة رئيس الحكومة الفرنسية أن "الحكومة الفرنسية تعترف بالإستقلال الداخلي لتونس ،وتعلن فرنسا عن ذالك عن حسن نية "،وهي جريمة في نفس الوقت على تأكيد ذلك من خلال المبدأ والعمل على أن توفر جميع الخطوط لتحقيق النجاح ...إن درجة التطور التي بلغتها الشعب التونسي والتي يحق لنا أن ينتهج لها ،لاسيما قد ساهمنا كثيرا في ذلك ،وكذلك قيمة تخبيئته اللافتة للنظر ،يبرز قيام ذلك الشعب بإدارة شؤونه بنفسه ... وبناء على ذلك فإننا مستعدون لإحالة الممارسة الداخلية إلى شخصيات ومؤسسات تونسية.[2]

موقف صالح بن يوسف من المفاوضات :

صرح **صالح بن يوسف** بقوله أن الاستقلال هو خطوة إلى الإستقلال التام ،وأن الإستقلال الداخلي هو مرحلة إنتقالية نحو تحقيق الإستقلال التام الذي كان وسيضل دائما جزئيا.[3]

-اجتمع أعضاء الديوان السياسي للحزب الدستوري الحر الجديد في جنيف يوم 07 أوت 1954 برئاسة صالح بن يوسف "وقرر مشاركة الحزب في وزراء التفاوض ،وقد تم تشكيل تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمار[4] يوم 07 أوت 1954 ضمت هذه الوزارة كمستقبلين والأمن الحزب الحر الدستوري الجديد وإشتراكي واحد.[5]

---

[1] -منصف الشابي :المرجع السابق ،ص ص151،152.

[2] -أحمد القصاب : المرجع السابق ،ص649.

[3]-خليفة الشاطر وأخرون : المرجع السابق ،ص649

[4]-الطاهر بن عمار :1889-1985 ينحدر من عائلة أصيلة من طربلس ولد بالعاصمة درس بمعهد كارنو ،وكان عضو في الندوة الثورية ،نشط في الحزب الدستوري التونسي كلفه الحزب بترأس وفد سنة 1921 لتقديم طلبات الحزب إلى الحكومة الفرنسية ،كان عضو في لجنة الأربعين ،عبد الكريم عزيز ،المرجع السابق ،ص ص538 .

[5]-خليفة الشاطر وآخرون : نفسه،ص169.

تكون أعضاء الحكومة التفاوضية من :الطاهر بن عمار ":وزير أول – محمد المصمودي :وزير الدولة ،محمد بدرة :وزير الفلاحة كاظم عاشور :وزير العدل ،جيلولي فارس :وزير المعارف ،**الهادي نويرة** :وزير المالية ، **الصادق المقدم** :وزير الصحة ،**عزالدين العباسي** :وزير الأشغال العامة ،**فتحي زهير** :وزير الشغل ،**الشاذلي رحيم** :وزير البريد ،**ألبيربيريس** :وزير التعمير.

–لعب **محمد المصمودي وعزيز الجلولي والمنجي سليم** الذي كان محور المفاوضات بالنسبة للوفد التونسي دور هاما ،لإعداد الحكومة التفاوض بالإتصالات مع منداس فراس وداغا فور[1]

سير المفاوضات من 04سيتمبر 1954–إلى 22 أفريل 1955:

بدأت المفاوضات عسيرة ومما زاد في تعقيدها هو إندلاع الثورة الجزائرية يوم وهي **01 نوفمبر 1954** ،وتدهور الحالة بالمغرب الأقصى ،فظهرت حكومة" منداييس فراس "،وزاد الهجوم عليها بمظهر المفاوض والمتطلب حول العديد من النقاط خاصة حقوق المقيمين الفرنسين بتونس وبمشكلة الأمن.[2]

–وأثناء سير المفاوضات عرف **بن يوسف** كيف يجعل من المقاومة المسلحة وسيلة للضغط على سير الجلسات التفاوضية ،وفي نفس الوقت راح يتجول بين القاهرة حيث قام بربط علاقات مع رجال ثورة الجزائر ،وصولا إلى **باندونغ** حيث شارك بإعتباره رئيس الوفد المغرب العربي في مؤتمر عدم الإنحياز **أفريل 1955.**

---

[1] –عبد الكريم عزيز : المرجع نفسه ،ص543.

[2]–محمد الهادي شريف: المرجع السابق ،ص136.

-كما تم اختيار "**صالح بن يوسف**" لرئاسة الوفد الثاني المشترك الذي حضرته شخصيات جزائرية "**محمد يزيد ،حسين أيت أحمد** عن الجزائر ،**وعلال الفاسي** عن المغرب الأقصى ،**والطبيب سليم والطاهر عميرة علية** في تونس.[1]

وضعت فرنسا من جديد قبضتها على البلاد التونسية بعد الحرب العالمية الثانية وأصبح لازما على الحزب الحر الدستوري أن يسلك طريق الحذر كما وجب عليه أن يتحالف مع قوى أخرى ،ثم الحزب الدستوري تراجع كما أن عودته رئسيه في سبتمبر 1949 لم تزده وصدى ولا عمق

- ففي حوالي 1950كانت خلاياه تمتد على كامل البلاد التونسية حتى تلك المناطق التي لم يكن يصلها تأثيره مثل الشمال والغرب ،وكانت إجماعاته تظم ألاف الأشخاص ،وكانت بعض المنظمات الوطنية مثل (الإتحاد العام التونسي للشغل) الذي كان يضم حوالي ألف منخرط.[2]

-انتقل الوفد التونسي إلى باريس حيث توصلت المفاوضات من بداية 13 سبتمبر 1954 وإستمر لمدة 8 أشهر إلى غاية **29 أفريل** 1955 تخللتها صعوبات وخلافات بين المتفاوضين.[3]

وكانت تصريحات صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة أن مطالب الحركة الوطنية التونسية تجاوزت مرحلة ما قبل القطيعة سنة **1952** وأصبحت تعتبر الإستقلال الداخلي حل مرحلي للإستقلال التام لكن الحكومة الفرنسية كانت تحاول تقليص مفهوم الإستقلال الداخلي ،وقد تجلت بعض المواطن لإختلاف أثناء الجلسة الإفتتاحية التي أشرف عليها الباي التونسي يوم **04 سبتمبر**

---

[1]-الصافي سعيد: المرجع السايق ،ص 195.

[2] -محمد الهادي شريف: المرجع السابق ،ص132.

[3]-الحبيب قرار :"**تحيا تونس** "،مطبعة بوسلامة ،تونس ،1996 ،ص136.

1954 إذا أعرب الأمين باي عن رغبة في تنمية العلاقات بين الأمتين وفقا لتقاليد أسلافنا الأمجاد في إيطار المحافظة على معاهدة الصداقة والتضامن التي تربط بين البلدين لمعاهدة باردو.[1]

تعرض منداس فرانس إلى إنتقادات حادة من طرف أحزاب اليمين الذين إتهموه بأن تفاوضالحكومة التونسية حول الإستقلال الداخلي هو الذي دفع بالجزائرين للقيام بثورتهم ،وعرضتبحكومة جديد ة حكومة" إدغا فور" يوم 05 فيفري 1955.[2]

إتفق الطرفان التونسي والفرنسي على توجيه نداء يوم 22 نوفمبر 1954 إلى المج اهدين لإيقاف الكفاح المسلح وتسليم أسلحتهم لأن الثورة الجزائرية بدأت تحفز قبل الإستعمار الفرنسي في المغرب العربي خاصة بعد أن استبشر المجاهدون التونسيون والمغاربة خبر بإندلاع الثورة الجزائرية مما أدى إلى إرتفاع عدد المجاهدين التونسين في كامل البلاد وزيادات نسبة هجوماتهم وكانا فرنسا لاتزال تعاني من أثار هزيمتنا في "**معركة ديان بيان فو**".[3]

-تمت عملية نزول الثوار حسب الخطة المتفق عليها يوم 22 نوفمبر 1954 حيث توصلت المفاوضات ولكن لم يتم الإتفاق بالنسبة لتونس الشرطة الفرنسية مع إمكانية تمثيلها في المجالس المنتخبة.[4]

-كان "**صالح بن يوسف** "يعارض هذا السلوك حيث كان يدرك أن الذي يفاوض وسلاحه في يده يستطيع أن يحمي حقوقه كاملة ،أما الذي يسلم سلاحه ،فلا يستطيع فرض أي شيء ،وفي نفس الوقت صرح بورقيبة لجريدة "**لبتي ماتان**" التونسية بتاريخ 21 نوفمبر 1954 أن المفاوضات تسير حول مسألة تكوين جيش تونسي صغير ،وحول تعين

---

[1]-خليفة الشاطر وآخرون : المرجع السابق ،ص.169

-عميرة علية الصغير :"اليوسفيون وتحرر المغرب العربي "،ط2،المغاربية لنشر والتوزيع والإشهار ،تونس ،2001 [2]،ص168.

[3] -أحمد القصاب :المرجع السابق ،ص651.

[4] - خليفة الشاطر وأخرون : المرجع السابق ،ص.170

مستشارين دبلومسين تونسين في السفارات الفرنسية بالمشرق ،بالإضافة إلى تسليم الأسلحة.[1]

-دخلت المفاوضات في مأزق ورجع الوفد التفاوضي إلى تونس يوم 19 جانفي 1955 للتشاور مع الديوان السياسي والحكومة التونسية يوم 21 جانفي 1955 للتشاور مع الديوان السياسي والحكومة التونسية ،ثم عاد "**منداس فرانس** "رئيس الحكومة الفرنسية لعرض وجهة نضر تونس وإستؤنفت المفاوضات بعد استشارة الأمين العام للحزب "**صالح بن يوسف** " في جنيف ،ورئيس الحزب في باريس الحبيب بورقيبة .

-تجاوزت المفاوضات مسألة المبادئ وأصبحت متعلقة بالأجال ،ورفض الوفد التونسي بقاء الجنوب التونسي تحت سلطة الأمن الفرنسي مع قبوله بمبدأ السيادة التونسية ،وفشل بعض التنازلات الطرفية في مجال الأمن ،بعد سقوط الحكومة **منداس فرانس** ،واصل "**ادغا فور** " المفاوضات مصرحا "**:من الممكن الوصول إلى إتفاق دون الإفراض في التنازل** " وكان هدفه بالدرجة الأولى عزل الثورة الجزائرية التي بدأت تقلق باريس.[2]

-وإستؤنفت المفاوضات من جديد يوم **15 مارس 1955** وتقابل رئيس الحكومة الفرنسية "إدغا فور " مع الحبيب بورقيبة في باريس يوم **21 أفريل 1955** وأمضى يوم **22 أفريل 1955** على بروتوكول الإستقلال الداخلي ،وتم الإمضاء على إتفاقية 03 جوان 1955 من طرف "**إدغا فور بيار جولي**" (عن الحكومة الفرنسية) والطاهر بن عمار المنجي سليم (عن الحكومة الفرنسية)

-عاد بورقيبة من مرسليا إلى تونس بعد معاناة من النفي والسجن في جوان 1955 حيث لقي إستقبال حاشد ولكن سرعان ما ظهرت بوادر التصدع في الجبهة الوطنية .

---

[1] -منصف الشابي : المرجع السابق ،ص156.

[2] -خليفة الشاطر وأخرون : المرجع السابق ،ص ص 170، 171 .

-أعلن الزعيم **صالح بن يوسف** من باندونغ معارضة إتفاقيات الإستقلال الذاتي قائلا :**إن الشعب التونسي يرفض تلك الإتفاقيات** وهو عازم على إحباطها بجميع ما لديه من وسائل علمية ،وعليه فإن توقيع تلك الإتفاقيات وفرضها على الشعب التونسي معاناى وإعلان الحرب عليه[1] .

-في سبتمبر قدم **الطاهر بن عمار** إستقالة حكومته وعند ئذ طلب منه الباي تشكيل حكومة ثانية ،فرفض وإقترح عليه الحبيب بورقيبة بحجة أن الديوان السياسي رشح الأغلبية المطلقة "الطاهر بن عمار " وتشكلت هذه الحكومة يوم 17 سبيتمبر 1955 وهي أول حكومة متجانسة حيث سعى الطاهر بن عمار إلى ضم أفضل العناصر الوطنية إليها.[2]

-عاد **صالح بن يوسف** "بعد 3 أشهر من عودة الحبيب بورقيبة ،ودعا **صالح بن يوسف** على اثر عودته من باندونغ إلى رفض إتفاقية الإستقلال الداخلي حتى تتحصل دور المغرب العربي على إستقلالها التام.

موقف صالح بن يوسف من الحكم الذاتي :

تم إمضاء إتفاقية الحكم الذاتي لتونس يوم 03 جوان 1955 والتي نصت على إعتراف فرنسا لتونس إستقلالها الداخلي ،ومما جاء في هذه الإتفاقية مايلي:

-عدم إلغاء معاهدة باردو ،-إلغاء المادة الأولى من معاهدة المرسى ،بالإضافة إلى إحتفاظ فرنسا بالأمن والدفاع عن العلاقات الخارجية ،وإعفاء الفرنسين من حق الضرائب ولجنود فرنسا الفرنسين .[3]

---

[1]-منصف الشابي : المرجع السابق،ص 157.

[2]-أحمد القصاب : المرجع السابق ،ص ،ص 653،654.

[3]-الصافي سعيد: المرجع السابق ،ص 195.

-أحدثت هذه الإتفاقية إنقسام داخل الحزب الدستوري الجديد فتشكل نبارات معارضان ومتضادان تمثل التيار الأول في المكتب السياسي بقيادة الحبيب بورقيب ة والتيار الثاني في الأمانة العامة بقيادة "صالح بن يوسف ".[1]

-كان أول من عارض إتفاقية الإستقلال الداخلي "صالح يوسف "وإعتبرها في 31 ديسمبر 1954 خلال فترة المفاوضات قائلا :إن الشعب التونسي لن يرضى أبدا بحكم صوري يحول دون تحقيق الإستقلال التام .... "[2]

-كما صرح "**صالح بن يوسف**" في 03 جانفي 1955 من جنيف بيانا نقلته جريدة الأهرام المصرية أعلنت فيه عن مطالب التونسين وأثار خمس نقاط تمثل الحد الأدنى الذي يقبل به الشعب التونسي لتهيئة إستقلاله .[3]

ثم تأخذ هذه النقاط بعين الإعتبار عن الإمضاء إتفاقية الحكم الذاتي حيث إتهم "**صالح بن يوسف** "بالتصلب لذلك لم تسمح له فرنسا بالمشاركة في المفاوضات ،فكان يتابع المفاوضات من جنيف وكان على إتصال مع المنجي سليم .

-عاد صالح بن يوسف إلى تونس في 13 سبتمبر 1955 حي أعد له الحبيب بورقيبة مستقبل إذا صرح بقوله "أرجو أن يفوت الفرصة على أعداء نا بتفهمه للخطوة التي قطعناها " ،كما ذكر بأن الإتفاقيات المبرمة مع فرنسا هي بمثابة خطوة إلى الأمام. [4]

-بعد أن تناول "صالح بن يوسف "الكلمة شكر الشعب التونسي على الإستقبال والحزب الحر الدستوري ،ثم صرح بأن الإتفاقيات هي بمثابة خطوة إلى الوراء ،واتهم "صالح بن يوسف :بورقيبة بعد وانيته الإسلام العرب ،وأدعى أنه كان يسكت عن سلوك بورقيبة

---

[1] عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ،ص547.

[2]-محمد علي داهش :"**دراسة في تاريخ الحركة الوطنية و الإتجاهات الوجودية في المغرب العربي** "،منشورات إتحاد كتاب العربي ،دمشق ،2004 ،ص ص 60،61 .

[3]-عميرة علية الصغير : اليوسفيون وتحرر ..... ،المرجع السابق ،ص16.

[4]- عميرة علية الصغير : اليوسفيون وتحرر ..... ،المرجع السابق ،ص17.

لمصلحة الشعب التونسي والوطن وخزفا من إنقسام الوطن أمام العدو ،وأعاد الطاهر بن عمار تشكيل حكومته من جديد بتاريخ 17 سيبتمبر 1955 .[1]

-تصلب صالح بن ن يوسف لمواقفه المتعادية لبقاء السيطرة الإستعمارية ،فكانت هذه البداية الأولى لصراع العلني يبن بورقيبة وصالح بن يوسف ،حيث حاول مناضلوا الحزب التدخل لإصلاح الخلاف وإقناع صالح بن يوسف بالتراجع عن موقفه ،غير أنها تلقى إستجابة.[2]

-عقد **صالح بن يوسف** إجتماع بجامع الزيتونة يوم 07 أكتوبر 1955 ،ألقى فيه خطاب حضره جميع غفير ،وفي اليوم الموالي قررت الديوان السياسي طرد الزعيم صالح بن يوسف من الحزب حيث إجتمع **صالح بن يوسف** بهم أنه سيستقيل من الحزب إذا لم يوافقه الديوان السياسي .

-وفي 30 أكتوبر 1955 أسس الزعيم "**صالح بن يوسف** "الأمانة العامة للحزب وفتح أول نادي لها بيان الجزيرة وبدأ التصادم بينه وبين أنصار الحبيب بورقيبة ،وأصبح الحزب الدستوري الجديد مقسم إلى شقين الشق الأول الديوان السياسي وعلى رأسه الحبيب بورقيبة والشق الثاني الأمانة العامة ويقودها صالح بن يوسف [3]

-بعد خروج **صالح بن يوسف** من السجن واصل نشاطه السياسي لتقوية الحزب الدستوري الجديد وأصبح تحت قيادة ثلاثية إثنان منها في الداخل "**صالح بن يوسف** "**المنجي سليم والحبيب تامر** الموجود بالقاهرة .[4]

---

[1]-الحبيب قرار: المرجع السابق ،ص162.

[2]-محمود شاكر : المرجع السابق ،ص167.

[3]-الحبيب قرار : نفسه،ص178.

[4]-الحبيب تامر :(1909-1949) درس في باريس ،وتارس جمعية طلبة شمال إفريقيا في باريس ،هو من قيادتي الحزب الحر الجديد 1938 ،أنظر منصف الشابي:المرجع السابق ،ص109 .

المبحث الثاني: صالح بن يوسف و تدويل القضية التونسية .

. بعد فشل المفاوضات الفرنسية التونسية بار سال وزير الخارجية الفرنسي ""**روبار شومان**"[1(1)] ،مذكرات في 15 ديسمبر 1951 إلى الوزير الأكبر محمد شنيق تؤكد له على ازدواجية السيادة و ارتباط تونس بفرنسا دائما لم يتبقى أمام العمل الوطني إلا أسلوب المجابهة العنيفة خاصة بعد فشل أسلوب الحوار السلمي الدبلوماسي ، عاد الوفد التونسي إلى البلاد في 24 ديسمبر 1951 ، وكانت أخبار الرد الفرنسي قد سبقته ، بدأت الاحتجاجات على السياسة الفرنسية خاصة إليها جميع الأوساط [2(2)]

. بعث الحزب الدستوري شعبا حيثما وجدت جالية تونسية و كانت باريس محل اهتمام الحزب اعتبارا لمكانتها الإستراتيجية و لإبلاغ الموقف التونسي للحكومة إلى فرنسية بالإضافة إلى كسب الرأي العام العالمي و الفرنسي و الاعتماد على أنصار تصفية الاستعمار ، إضافة إلى الجالية التونسية ، و في مقدمتهم الطلبة المزاولون لتعليهم في المعاهد الفرنسية.

. و كان الحزب الدستوري حريصا على ممثليه في باريس و قد برز دور محطة القاهرة منذ إيوائها لجامعة الدول العربية و لدعم الوجود المغربي بفضل تأسيس مكتب المغرب العربي ، كان الوفد التونسي يضم بعد رجوع الحبيب بورقيبة إلى تونس ووفاة الحبيب تأمر بعد حادثة طائرة كل المناضلين : **الرشيد إدريس** و **الطيب سليم** إضافة إلى نخبة من الدستورين الدين استقر بالقاهرة [3(3)].

[1(1)]-روبار شومان 1886– 1993):تقلد عدة مناصب سياسية كوزيرالمالية ،ورئيس مجلس النواب ووزير الخارجية عرف بتصرفه للفكر الوحداني (الإتحاد الفرنسي الوحدة الأروبية)أنظر عبد الوهاب الكيالي : ج3،المرجع السابق ،ص331.

[2(2)]–تأليف ثلة من الأساتذة : موجز الحركة ....، المرجع السابق ،ص188 .

[3(3)] -محمود شاكر : المرجع السابق، ص.162.

. وعلى اثر اعتقال حكومة شفيق في مارس 1952 فر صالح بن يوسف مع محمد بدرة من باريس لتقديم شكوى إلى المجلس الأمم المتحدة و لدعوته لحل الخلاف التونسي الفرنسي. [1(1)]

التوجه إلى منظمة الأمم المتحدة :

شرع الممثلون في الخارج بتصفية عرض القضية التونسية أمام الأمم المتحدة بمناسبة انعقاد دور نهائي أكتوبر 1952،وكانت فرنسا تخشى مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لقضيتي تونس والمغرب. [(2)]

و كان التصويت باغلبية34 صوتا ضد 20صوتا ، وشرعت اللجنة في دراسة القضية التونسية يوم 4ديسمبر 1952 بعد منحها الأولوية على القضية الكورية ، استهل تلك المناقشة "ظفر الله خان" وزير خارجية باكستان حيث ألقى خطابا دام 3 ساعات اللجنة السياسة المقترحة للكتلة العربية الأسيوية للقضية التونسية. [(3)]

و مرة أخرى طلبت 14 دولة افريقية أسيوية في شهر جويلية 1954 عرض القضية التونسية لان الشعب التونسي ثار و رفض الإصلاحات الفرنسية بتاريخ 04مارس1954 كما رفض الاندماج في الاتحاد الفرنسي الذي أرادت فرنسا فرضه على تونس و عمت المظاهرات و الاحتجاجات و أصبحت الدولة التونسية فريسة للعصيان و الثورة .[(4)]

. وفي تلك الأثناء نزل مداس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية تونس و أعلن أمام الأمين باي في قصر قرطاج منح الاستقلال الداخلي لتونس و كان هدفه من وراء ذلك هو إيقاف مناقشة القضية التونسية في المنظمة الدولية ، و هذا ما تم فعلا دون المصادقة

[(1)]–عميرة علية المغرب : اليوسفيون وتحرر .... ،ج2،المرجع السابق ،ص21 .

[(2)]–عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ،ص 401.

[(3)]–خليفة الشاطر وآخرون : المرجع السابق ، ص 156 .

[(4)]– نفسه: ص152.

على أي قرار مع ترحيب وفود الأمم المتحدة بقرار الاستقلال الذي أعلن عنه رئيس الحكومة الفرنسية منداس .[1]

. كانت مكاتب الحزب الدستوري التونسي كثير حملات لإقناع الرأي العام العالمي و تهيئة القضية التونسية ، كما فتح الحزب في شرق أسيا (الهند ، اندنوسيا ، و باكستان) على هده الدول الحديثة العهد بالاستقلال و تصفية الاستعمار. [2]

. وجه الحزب الدستوري التونسي الجديد و الاتحاد العام التونسي للشغل يوم 14 ديسمبر 1954 والاتحاد العام التونسي للصناعة و التجارة و الاتحاد العام التونسي للفلاحة برقية إلى " روبار شومان" ، يؤكد فيها على عدم قبول تحكيم جالية أجنبية في الشؤون التونسية بأي وجه من الوجوه ، و أعلن عن إضراب لمدة 3 أيام و انظم إليه الحزب الشيوعي و نقابات .[3]

. أعدت الحكومة الفرنسية مذكرة شكوى أمضاها الوزير الأكبر محمد شنيق يوم 14 ديسمبر 1954 و كل الوزراء التونسيين و لم يمضي عليها الباي ، سافر صالح بن يوسف و محمد بدرة إلى باريس حيث يتواجد مقر الأمم المتحدة في قصر شابو لتقديم الشكوى التونسية للامين العام للأمم المتحدة tryvelie ، و قد تولى وفد العراق و باكستان الدفاع عن ترسيم القضية التونسية في جدول أعمال مجلس الأمن.[4]

---

[1]– الحبيب قرار:المصدر السابق ، ص 165.

[2]–خليفة الشاطر وآخرون : نفسه ،ص 152.

[3]–محمود شاكر : المرجع السابق ،ص162.

[4]–عبد العزيز : المرجع السابق ،ص395.

. أدى **صالح بن يوسف** في هده المرحلة دورا حاسما في دفع الحكومة و الحزب إلى خطة المجابة أي أن يتحمل بنفسه تدويل القضية التونسية ، فسافر رفقة محمد بدرة وزير الشؤون الاجتماعية لنيويورك .

. كما كان **صالح بن يوسف** محمد بدرة لقاءات عديدة مع الأحزاب و القوى السياسة الفرنسية و إعلاميا ، قدم ملفات مفصلة عن القضية التونسية لمختلف الصحف ، كما رفض ادعاءات ممثلي الحكومة الفرنسية بان العلاقات الخارجية التونسية تقع تحت نظر السلطة الفرنسية باعتبار اتفاقية الحماية ، معتبرا أن هدا الكلام قد تجاوز الزمن و أن مواثيق الحماية الفرنسية لم تبلغ السيادة التونسية في أي فصل من فصولها [1]

. و في خريف **1952** وقع تسجيل القصية التونسية في جدول أعمال العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة و دلك تطبيقا للبند 11 الفقرة الثانية من ميثاق والداي يخول له مناقشة كل قضية تهم المحافظة على الأمن و السلم و إصدار القرارات المناسبة و على هدا الأساس تكون فرنسا مهتمة بتخزين السلم العالمي في إفريقيا في إفريقيا الشمالية و نتيجة لحزم المجموعة الإفريقية الأسيوي[2]

. بعد تعيين المقيم العام الجديد " **دي هوت كلوك**" الذي كان يرمي إلى إقناع الرأي العام العالمي بان فرنسا تنتهج سياسة جديدة في تونس في إطار مناقشة القضية أمام الأمم المتحدة و أدرجت الأمم المتحدة القضيتين التونسية و المغربية في جدول أعمالهما أثناء جلستها العمومية في 18 أكتوبر 1953 و صادقت اللجنة السياسية في مناقشتها يوم 22 أكتوبر 1953 و صادقت اللجنة السياسية بأغلبية 32 ضد 19

[1]–منصف الشابي: المرجع السابق ،ص123.

[2]–عبد العزيز كريم : المرجع السابق ،ص403.

، تواصلت مناقشة القضية طيلة شهر كان دلك مكسب هام سمح لرواد تصفية الاستعمار بالدفاع عن القضية التونسية[1]

. عقد "**صالح بن يوسف**" الأمين العام لحزب الحر الدستوري التونسي الجديد و باعتباره رئيس البعثة التونسية لدى الأمم المتحدة ندوة صحفية اثر انتهاء مناقشة القضية التونسية يوم 13 نوفمبر 1953 و صرح فيها بان الشعب التونسي سيواصل كفاحه في سبيل حريته و استقلاله. [2]

. كما وجه "**صالح بن يوسف**" مع **محمد بدرة** مشاكل مع القنصلية الأمريكية للحصول على تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية بسب عدم صلاحية جواز سفرهما ، كما اصدر **صالح بن يوسف** و محمد بدرة تصريحا أعرب فيه عن أوضاع تونس الداخلية و إنها تأمل من الهيئات الدولة إيجاد حلول لقضايا البلاد التونسية. [3]

. رد المقيم العام الفرنسي " **دي هوت كلوك**" الجديد يعقد على إقدام تونس اللجوء إلى المنظمة الأمم المتحدة و عبر عن رفضه و غضبه هدا في زيارة له بتاريخ 15 جانفي 1952 ، و عزمه على استخدام القوة و الشدة ضد الدستور الجديد

. و الضغط عليه لإقامة وزارة " محمد شفيق التفاوضية " و إرجاع الوزارة من باريس و سحب الشكوى من هيئة الأمم المتحدة [4]

---

[1] خليفة الشاطر وأخرون : المرجع السابق ،ص ص 162،163.

[2] –منصف الشابي: المرجع السابق ،ص124.

[3] –مجلة المنار : الجزائر،العدد 1952/08/01، ص01.

[4] –شارل أندري جوليان : المرجع السابق ،ص247.

. كما حاولت السلطات الفرنسية إلقاء القبض على " **صالح بن يوسف** " و " **محمد بدرة** " بباريس غير أنهما تمكنا من الهروب من الفندق من فرنسا رغم الحراسة المشددة عليهما[1]

قرار الأمم المتحدة :

في خريف 1952 وقع تسجيل القضية التونسية في جدول أعمال الدورة العاجية للجمعية العامة للأمم المتحدة ، و دلك تطبيقا للبند 11 الفقرة الثانية من ميثاق المنظمة الذي يخول لها مناقشة كل قضية تهم المحافظة على الأمن و السلم إصدار القرارات المناسبة .

. و على هدا الأساس تكون فرنسا متهمة بتخريب السلم في إفريقيا الشمالية و نتيجة لحزم المجموعة الإفريقية الأسيوية ، و تفهم الولايات المتحدة الأمريكية أصدرت الجمعية العامة قرارا معتدلا ، و كان من بين المدافعين عن القصية التونسية المندوب الباكستاني " **ظفر الله خان**" الذي صرح أن فرنسا حكمت تونس لمدة تزيد عن 71 سنة و مازالت تدعي أن تلك البلاد غير جديرة بالاستقلال ، و هدا معناه اعتراف صريح بفساد الحكم الفرنسي و عدم صلاحيته و كانت كلمته ابلغ و أحسن حجة لفائدة القضية التونسية في الأمم المتحدة. [2]

. و نظرا لصعوبات التي تواجهها فرنسا على الساحة الدولية في شمال إفريقيا وفي الهند الصينية أعلن ممثل حكومة Pinay أمام الجمعية العامة مقاطعة الجلسات و انه لم يحضر لنقاش القضية التونسية و لا للتصويت عليها ، لان قضية تونس

---

[1]–علي البهلوان :"**تونس الثائرة** ،المطبعة العالمية ،القاهرة ،ص123.

[2]–عبد الكريم عزيز : المرجع السابق،ص 444.

قضية داخلية و انه يرفض مسبقا كل قرار تاخده الأمم المتحدة و كان القرار قد ..... و يدعو الطرفين التونسي و الفرنسي إلى التفاوض حول 6 نقاط :

. منع الباي حرية التصرف . إطلاق سراح الزعماء الوطنين

. عدم تطبيق القانون العرفي . العودة إلى المفاوضات المباشرة و الموصلة

. تكوين لجنة من الأمم المتحدة لمساعدة الطر فين خلال المفاوضات

. تحديد مدة لا تتجاوز سنة لإنهاء المفاوضات .[1]

. هدا وقد رفضت اللائحة العربية الإفريقية و قبلت لائحة أمريكا اللاتينية التي تدعو إلى مفاوضات مباشرة وفي وقت اقرب ، ووافقت الولايات المتحدة الأمريكية على هده اللائحة و عرفت انه لم يصوت إلى جانبها إلى عدد قليل من الوفود

. و قد جاء في كلمة مندوب البرازيل نيابة عن دول أمريكا اللاتينية التي قبلت لائحتهم بوضوح على حق تونس الاستقلال كما شدد على الوطنيين في تونس و في الكتلة الإفريقية الأسيوية فقد اعتبرت تصويت معظم وفود الأمم المتحدة نصف انتصار لها .

. من جديد عرضت القضية التونسية على اللجنة الأولى لمنظمة الأمم المتحدة في أكتوبر 1953 متهمة فرنسا خلال النقاش بعدم تطبيق اللائحة التي وقعت عليها سابقا سنة 1952 و تم بعد دلك اغتيال النقابي فرحات حشاد و منع الباي من تكوين حكومة وطنية و لم يتم إطلاق سراح المعتقلين السياسيين. [2]

وقع التصويت على اللائحة الجديدة يوم **26 أكتوبر 1953** ب 23 صوت مقابل **22** صوت و احتفاظ **5** وفود و تنص اللائحة على منح تونس الاستقلال الكامل و لكن هده التوصية لم تعرض على الجمعية العامة لتبنيها لأنها لم تحرز على 2/3

---

[1]–خليفة الشاطر وآخرون : المرجع السابق ص163.

[2]– نفسه: ص164.

من الأصوات و بدلك رفضت اللائحة الخاصة بالقضية التونسية بكامل مكوناتها بما في دلك لائحة سنة **1952**.[1]

. و مرة أخرى في شهر **جويلية 1954** طلبت **14 دولة** افريقية أسيوية عرض القضية التونسية ورفض الاندماج في الاتحاد الفرنسي الذي أرادت فرنسا فرضه على تونس ، و تمت المظاهرات و أصبحت الدولة التونسية فريسة للعصيان و الثورة الأمر الذي يهدد الأمن و السلم العالمي.[2]

[1] عبد الكريم عزيز: المرجع السابق، ص404.

[2] –خليفة الشاطر وأخرون : نفسه ،ص264.

المبحث الثالث :الخلاف اليوسفي البورقبي 1954-1956.

اليوسفية ليست إيديولوجيا أو ليست نظرية في كيفية التحرر من الاستعمار ،وكما هي حركة سياسية ذات هوية مغاربية وذات عمق عربي إسلامي ،وهي نتيجة لعوامل ذاتية وأخرى موضوعية تجسدت الأولى في قدرة صالح بن يوسف على تجديد شخصيته السياسية بصورة جذرية .[1]

-كما تمثل اليوسفية عند نسبة كبيرة من التونسيين هي تلك الصورة التي رسمها لها مناوئوها والوردة أساسا في خطب الرئيس الحبيب بورقيبة طيلة فترة حكمه وفيما كانت تكتبه وتقوله وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في عهده ،وحتى ما كان يدرج ويقدم في كتب التاريخ المدرسية وما كان يقدم بتاريخ رسمي للحركة الوطنية ،حيث يعرف الخلاف دخول الإستقلال الذاتي ب "**الفتنة اليوسفية** ".[2]

واليوسفيون هم أنصار الزعيم صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد ،عرفت اليوسفية تأييد شعبي كبير وكسبت الغالبية العظمى من الشعب التونسي وثبت ذالك من خلال إحصاء الشعب الدستورية متنمية إلى الحركة اليوسفية التي قدر عددها في حدود 747 شعبة.[3] .

-جذور الحركة اليوسفية :

---

[1]- المنجي ورواده :"**جذور الحركة اليوسفية** ،المجلة التاريخية المغاربية ،العدد 71 .72 مؤسسة التيميمي ،تونس ،ماي 2006 ص،482.

[2] – عميرة علية الصغير : اليوسفيون وتحرر المغرب .....، السابق ،ص27.

[3]-المنجي ورواده : نفسه ،ص 482 .

تعود جذور الحركة اليوسفية إلى بدايات هذا القرن حيث تشكل الحزب الحر الدستوري سنة 1920 برئاسة الشيخ عبد العزيز الثعالبي كان من أركان الإصلاح الإجتماعي والإقتصادي والإصلاح الديني والفكري في تونس الذي متسببا بالتراث العربي الإسلامي[1]

–اتسمت الحركة اليوسفية ببعدها القومي وذلك إلى المؤتمر الذي عقد بالقاهرة في عام 1947م والذي ضم كافة حركات التحرر في المغرب العربي وانبثق عن لجنة تحرير المغرب العربي التي استندت رأستها إلى عبد الكريم الخطابي "وأمانتها العامة إلى الحبيب بورقيبة "،وقد دب الخلاف بين أعضاء الحركة الوطنية التونسية . [2]

–ومن العوامل التي سهمت في تعميق البعد القومي للحركة اليوسفية إخراج القضية التونسية إلى البعد العربي ،واندلاع ثورة الضباط الأحرار في ثورة **23 جويلية 1952** بزعامة جمال عبد الناصر والتي منك منعطف كبير للحركة القومية العربية إلى وجهة الأحداث ،بالإضافة إى مشاركة صالح بن يوسف في مؤتمر باندونغ بأندنوسيا سنة 1955 ،هذه المشاركة عززت حضوره السياسي كزعيم وطني وكذلك علاقة مع عبد الناصر وزعماء العلوم الثالث ،فضلا عن هزيمة فرضياتنا في "**معركة ديان بيافو** "في الفيتنام 1954،واندلاع الثورة المسلحة في الجزائر 01 نوفمبر 1954 . [3]

يعتبر مؤتمر ليلة القدر المنعقد في 23أوت 1946 الذي دعا إليه الزعيم **صالح بن**

---

[1]– المنجي ورواده : المرجع السابق ص ،ص 482.483.

[2]– محمد بن عودة "**جاك كاني مؤتمر المغربي 1947 بداية نشاط المغرب العربي في القاهرة** ،المجلة التاريخية المغاربية ،العدد 25–26 ،تونس1982 ،ص 2.

[3]– توفيق المدني :"**المعارضة التونسية نشأتها وتطورها** "–**دراسة** "منشوراتإتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،2001 ،ص ص 20–59 .

درست فيه القضية التونسية بشكل واضح وطالب فيه التونسيين بالاستقلال التام من فرنسا لكن السلطات الفرنسية داهمت المكان المنعقد فيه المؤتمر.[1]

-إنعقد مؤتمر دار سليم يوم 17 أكتوبر 1948 أي عودة الزعيم صالح بن يوسف من القاهرة وبعد عودة الزعيم صالح بن يوسف من القاهرة وبعد أيام قليلة افتتح المؤتمر بخطاب من طرف صالح بن يوسف أبرز من خلاله إنجازات الحزب في فترة غياب الحبيب بورقيبة ،وما أكسبه من هيبة وتقدير تأكد الحبيب بورقيبة من المؤامرات التي حبكت ضده على أثر لانعقاد هذا المؤتمر والذي عين فيه الحبيب تامر نائب للحبيب بورقيبة ويتيما تولى صالح بن يوسف الأمانة العامة[2]

-تمخض عن أعمال هذا المؤتمر ظهور انقسام المؤتمرين إلى قسمين :

القسم الأول :ويمثل أغلب المؤتمرين حيث أشاد وبما أنجزه الحزب واعتبرها أزهى فترة عاشها الحرب حيث استقطب المنظمات الوطنية واستفاد من دعم الباي للعمل الوطني .

القسم الثاني :استنكر استحواذ **صالح بن يوسف** "**النجي سليم** "على حزب وسعيهما إقصاء الحبيب بورقيبة ،حيث تهجيره إلى المشرق ،ويقول الدكتور رؤوف حمزة أن الخلاف وبين الزعيمين خلافا مقفلا إل حد ما وأن الأسباب والخلفيات تعود إلى عوامل ذاتية والصراع حول السلطة يرجع إلى 1948التي كان فيها الحبيب غائب عن تونس . [3]

-ويمكن القول أن الصراع داخل الحزب الدستوري طفا وظهر علانية على أكبر انعقاد المؤتمر الرابع للحزب في 18 جانفي 1952 ويعتبر المؤتمر الرابع بعد مؤتمر قصر الهلال

---

[1]-عبد العزيز كريم : المرجع السابق ،ص546.

[2]- التركي عروسية :"**الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956**" ،دار النهضة للطباعة والنشر ،تونس 2001 ،ص92.

[3]-نفسه : ص 92.

"**ومؤتمر نهج الترنيونال** "،حيث أصر صالح بن يوسف على الاستقلال التام وضرورة مواصلة العمل المسلح لمواجهة الإستعمار.[1]

–اشتد الصراع بين الحبيب بورقيبة وبن يوسف في الفترة مابين 1953 –1954 ،إن السبب الحقيق والمباشر والذي يمكن اعتباره قطرة الماء التي أفاضت الكأس حول الصراع اليوسفي البورقيبي هي المفاوضات التي بدأت بين الحكومة الفرنسية والتونسية ،حيث إنعقد لقاء تمهيد لها يوم 18،أوت 1954 تم الإتفاق فيه حول مبدأ المفاوضات ،وتم افتتاحها في الأيام الأولى من شهر ديسمبر 1954 وبالضغط في 04 سبتمبر 1954 ،بين الوفد التونسي الذي يضم "**المنجي سليم**" و"**الجلولي عزيز** "أما الوفود الفرنسي وقد ضم ،المدير العام للشؤون السياسية والاقتصادية بوزارة الشؤون التونسية المغربية ومتفقد للمالية ، اشترطت قرنيا في هذا الإجتماع إيقام العمل المسلح لمواصلة المفاوضات وقعت صدامات ومشادات بين أعضاء الحزب الدستوري فانشقت جماعة عن المفاوضات لمواصلة العمل المسلح بدعم من "صالح بن يوسف "**إلتحقو**" بالطالب العربي بالجزائر فكان ذلك من مظاهر المشادات والصدمات بين الطرفين.[2]

– تم توقيع هذه الإتفاقيات بينما كان "صالح بن يوسف "يترأس وفد تونسي في مؤتمر باندونغ بأندنوسيا ،وصرح خلال هذا المؤتمر بأن الشعب التونسي يرفض هذه المعاهدة كما عارض هذه المعاهدة عدد من الشخصيات التونسية فبدأ تونس تيارات متصارعان أجدهما

---

[1]–التركي عروسية: المرجع السابق ،ص134.

[2]– الطاهر بن عبد الله : المرجع السابق ص، ص 113،114.

بزعامة "صالح بن يوسف والثاني بقيادة الحبيب بورقيبة الذي قبل بالمفاوضات و إتفاقية 03 جوان .1955 .[1]

-هكذا أصبح "**صالح بن يوسف** "زعيم لحركة المعارضة في تونس فكانت معارضة الأولى للاتفاقيات ثم معارضة لسياسة الحبيب بورقيبة في تونس وإنعكاساتها على مستقبل البلاد التونسية بداية من 1954 والذي تلقى الدعم الكبير من طرفي العديد من الجهات من بينها القصر الملكي وطلبت خريجي جامعة الزيتونة والدستورين القدماء ،لأن ليس من المعقول ان يكون الزعيم "**صالح بن يوسف** "زعيم لحركة المعارضة في تونس دون أن يخفي بأي دعم.[2]

-كما تلقى **صالح بن يوسف** الدعم من مندوبي الحزب الدستوري الجديد في القاهرة "**إبراهيم بن طوبال** "الذي وقف إلى جانب صالح بن يوسف حيث أصبح الممثل الرسم للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي ،وكانت هذه اللجنة قد عقدت مؤتمر لها بتاريخ 14 أكتوبر 1955 وتم إتخاذ بعض القرارات :

1-فصل الديوان السياسي للحزب ورئيسه من عضوية اللجنة

2-إعتبار ان السلطات التابعة للديوان السياسي قد إنتقلت إلى يد الأمن العام "صالح بن يوسف"

3-يبقى ممثل السييد صالح بن يوسف "إبراهيم بن طوبال "الممثل الرسمي لحزب الدستوري في لجنة تسوية المغرب العربي[3]

---

[1]- منصف الشابي : المرجع السابق ،ص 71.

[2] – منجي ورواده : المرجع السابق ،ص 513

[3]-توفيق المدني: المعارضة التونسية .... ،المرجع السابق ،ص18

– وفي خضم إشتداد الصراع بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف لجأ الحبيب بورقيبة إلى الحل السلمي وعدم إستعمال المقاومة المسلحة للتسوية مع الإستعمار الفرنسي لحل القضية التونسية ،وهذا يعني أن مركز النقل السياسي سوف يكون بكل تأكيد لمصلحة "**صالح بن يوسف** "وأنصاره والمتحالف عفويا مع الثورة الجزائرية. [1]

– بداية الصراع بين المعارضين :

أثارت إتفاقيات الحكم الذاتي ردود فعل متباينة ومتضاربة بين القوى الوحدانية داخل تونس وفي صفوف الرأي العام التونسي ،عارض هذه الإتفاقيات من خارج الحزب الحر الدستوري الجديد والحزب الدستوري القديم ولجنة صوت الطالب الزيتوني وقيادة الإتحاد العام للفلاحة التونسية. [2]

–وقف الحزب الدستوري القديم إلى جانب صالح بن يوسف الذي أصبح يري فيه معبرا عن تطلعات وأفكار الحزب الدستوري القديم ومدافعا عن توجهاته كما إنضم كبار الفلاحين الذين مكنهم صالح بن يوسف من العبور إلى الإتحاد العام للفلاحة التونسية " من الانضمام إلى الحركة اليوسفية بهدف حماية مصالحها. [3]

–على كل ان **صالح بن يوسف** وجه رسالة إلى عضو الديوان السياسي **الياهمي الأدغم** بتاريخ 2 أفريل 1955 وبحيطت صورة على الخلاف الذي كان قائم خلال ذلك الشهر بين قيادة الحزب الدستوري ،حيث أعلمه في تلك الرسالة بإفاقة مع الوفد المفاوض بخنيق وإتفاقه مع **المنجي سليم** على أنه كبير المفاوضين والمسؤول على إمضاء التي إتفاق .

---

[1] –توفيق المدني: المعارضة التونسية ..... المرجع السابق ،ص19.

[2]– تأليف ثلة من الأساتذة : موجز الحركة الوطنية،المرجع السابق ،ص21.

[3] توفيق المدني : نفسه ،ص17 .

-بعد توقيع فرنسا على إتفاقية **الحكم الذاتي** يوم 21 أفريل 1955 غضب **صالح بن يوسف** من الوفد المفاوض وبالخصوص على المنجي سليم واصف الجميع ب"الخيانة بسب عدم إحترام بورقيبة لشروط الإختيار الديمقراطي والجماعي داخل الحزب أو مع شعبه ولم يستشير حتى ديوانه السياسي.[1]

-كان الحبيب بورقيبة اتفاقية الحكم الذاتي هي بمثابة خطوة إلى الأمام نحو إستعادة السيادة الوطنية الكاملة ولأه هذه الإتفاقيات سمحت بإحياء الدولة التونسية من جديد بإلغاء الفصل من الإتفاقية المرسي والتي جاء فيها :

لما كان مراد حضرة الباي المعظم أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها تكفل بإجراء الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار إليها فاءت في إجرائها "،كما أبطلت هذه الإتفاقية حكم المقيم العام الذي أصبح مندوب سامي في الإشراف على الإدارة وإصدار القوانين.

وهي خطوة إلى الأمام خاصة بما تسمح به من حرية الدولة التونسية وللقوى الوطنية ومن وضع جديد يمكنها من العمل بحرية للمزيد من التقدم في الإتجاه استتمام السيادة التونسية دون خسائر ودون عنف[2]

-يرى صالح بن يوسف أن إتفاقية الحكم الذاتي إعترفت بما لم تعرف به المعاهدة بارد و1881 بل تكرسها ولا تقربا لسيادة الخارجية لتونس ولا يجف الدفاع (الجيش) .

---

[1]- عميرة علية الصغير: اليوسفيون وتحرر ... ،المرجع السابق ص،ص20-21.

[2]- نفسه : ص22.

–هذه الإتفاقية تدمج الاقتصاد التونسي مع الاقتصاد الفرنسي عن طريق الشعبية المالية وحرية تونس بضمها لمنطقة التجارة الحرة مع فرنسا ،كما تكرس التبعية الثقافية لتونس.[1]

–بقي الحبيب بورقيبة مصرا على موقفه من المفاوضات ووقع على الاتفاقيات التي تقضي بالإستقلال الذاتي لتونس ،وكان يدرك بأن صالح بن يوسف يشكل خطرا كبير لهذا قام بإرسال مجموعة من الأعضاء الباردين في الحزب الذين يثق بهم وعلى رأسهم المنجي سليم لإقناع صالح بن يوسف "وكان جواب " أنتهدني بالمنجي سليم بما سيفعله بورقيبة "وكان يقنعه بالعدول فن فكرة الاستقلال الداخلي والتراجع عن رأيه كما هاتفه وطلب منه بنفسه .[2]

–وكان صالح بن يوسف الأمين العام للحزب وكان يساير الحبيب بورقيبة في بعض المسائل الخاصة في هذا الإتجاه ،وكما برزت المفاوضات وبرز الحبيب بورقيبة وعده في الواجهة السياسية قرر صالح بن يوسف الخروج وبدأ يتخوف من بعض تصرفات رئيس الحزب[3]

–ولما دعا الحبيب بورقيبة قادة العمل العسكري المعروفون ب"الفلاقة "لإلقاء السلاح وترك المقاومة عارض "صالح بن يوسف "ورأى بدوره أن المقاومة المسلحة لابد أن تستمر ،وإستمر بورقيبة في طريقه لإنقاع المقاومين ولم يبالي بأراء "صالح بن يوسف "الذي أخذتهم الحبيب بورقيبة بالعثمانية ومحاربة الإسلام واللغة العربية وغيرها من الثوابت الوطنية العربية.[4]

---

[1]–منصف الشابي : المرجع السابق ،ص192.

[2]–فتحي الديب :"**جمال عبد الناصر وثورة الجزائر** ،ط1،دار المستقبل العربي ،القاهرة ،1984،ص 143 .

[3]–محمود شاكر :المرجع السابق ،ص ص205.206.

[4]–سعيد الصافي: المرجع السابق ،صص195،194.

– بعد التوقيع على إتفاقية الحكم الذاتي عاد الحبيب بورقيبة إلى تونس وتشكلت حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية لمواصلة المفاوضات ،والتي أطلق عليها مفاوضات الحكم الذاتي وهي أول حكومة تونسية 100 منذ بداية الحماية الفرنسية .

–هذه الإتفاقية شكلت بدورها التوتر الصراع الذي قام بين الزعمين ورغم وجود الثورين والمعارضة وعلى رأسها "صالح بن يوسف "الذين رفضوا رفضا قاطعا هذه الإتفاقية وبنودها ،وصار بورقيبة رئيس الوزارة التونسية[1]

–عاد صالح بن يوسف إلى تونس يوم 13 سبيتمبر 1955 وكان على رأس مستقبليه بورقيبة والشاذلي باي والطاهر بن عمار ،وقد جاءته الجموع من مختلف أرجاء البلاد وقد توجه إلى قصر الملكي بقرطاج وهناك ألقى خطاب العودة.[2]

–إن المبادرة التي قام بها صالح بن يوسف فور عودته إلى تونس وهي دعوة التونسيين إلى مواصلة الكفاح المسلح حتى الحصول على الإستقلال التام تمكن من تعبئة شرائح هامة في المجتمع ضد بورقيبة حيث قام بزيارات عديدة إلى المدن التونسية[3]

ويعبر بن يوسف عن موقفه من الإتفاقية من جامع الزيتونة عقب صلاة الجمعة في 07 أكتوبر 1955 بقوله :"أحييكم من هذا المسجد الإسلامي العظيم تحية أحملها لكم من أعماق قلبي قد حملني إياها إخوانكم العرب..... يريدون منكم أن تكافحوا وأن تضحوا لتحرير هذه الأرض....."[4]

---

[1]– رأفت الشيخ: المرجع السابق ،ص145.

[2] – محمد ضيف الله :المرجع السابق ،ص37.

[3]– سعيد الصافي : المرجع السابق ،ص197.

[4]– عميرة علية الصغير :اليوسفيون وتحرير ..... ،ص48.

-كما نجح صالح بورقيبة بن يوسف في تكوين جبهة شعبية تدين بالولاء له وهذا جعل بورقيبة يقوم بجولات داخل البلاد يدافع عن الإتفاقية ويعارض التدخلات التي شنها بن يوسف ،مؤكد أنها مرحلة إنتقالية للمقاومة في هذا الوقت بالذات ،وحاول إغراء صالح بن يوسف وإدخاله في الحكومة إلا أن هذا أخير رفض.[1]

-أسس "بن يوسف "مقر الأمانة العامة للحزب منذ 30 أكتوبر 1955 بتونس العاصمة ،والذي أصبح مكان عام يجمع فيه أنصاره ،دخلت إلى البلاد موجه كبير من الاغتيالات وتصفية الحسابات وكان منهم سائق سيارة "صالح بن يوسف"[2]

-حيث بعد هذه الحادثة اكتف حول "صالح بن يوسف " الكثير من الشعب والفروع وخاصة التيار العربي ،وأصبح صالح بن يوسف هو القائد للمعارضة ضد الدستور التونسي وأصبح يشكل خطر على بورقيبة .

-إنعقد مؤتمر الحزب بصفاقس أيام 15-18 نوفمبر 1955 للبحث في تفاصيل المشاكل التي وقع فيها زعماء الحزب بزعامة الحبيب بورقيبة رئيس الديوان السياسي ومن جهة أخرى صالح بن يوسف زعيم الأمانة العامة للحزب الدستوري :حيث كانت الظروف التي إنعقد فيها المؤتمر أقل ما يقال عنها أنها غامضة ،وجهت الدعوة إلى صالح بن يوسف لحضور المؤتمر وإشترط حضور جميع الشعب الدستورية والتنظيمات المنطوية تحت لواء الأمانة العامة للحزب ،وطلب تأجيل المؤتمر أسبوع ،ورفض أنصار بورقيبة[3].

---

[1]-منصف الشابي : المرجع السابق ، ص ص197 .198.

[2]-الحبيب قرار : المرجع السابق ،ص140.

[3]-التركي عروسية : المرجع السابق ،ص..239.

– لم يحضر صالح بن يوسف أشغال المؤتمر ولم يحسم الخلاف اليوسفي البورقيبي ونجم عنه إستقطاب خطير هدد الوحدة الوطنية وأشغل نيران الحقد والفتنة الداخلية حيث أطلق عليه المؤرخون بالفتنة اليوسفية البورقيبية.

–لم يبقى صالح بن يوسف مكتوف الأيدي ،فقام بعقد اجتماع حضره 30 ألف مواطن رافعين لافتات تندد بالإتفاقيات وتساند نضال الجزائر كما قاموا بأعمال فدائية في المناطق الحدودية ،إلا أن السلطات الفرنسية شنت حملات اعتقال واسعة واعتقلت خلاياها العديد من أصدقاء صالح بن يوسف في الفترة الممتدة ما بين 1956–1958

نجم عن هذه الفتنة انقسام الدستور ين إلى قسمين وأعلنت الشعب الدستورية ولائها لصالح بن يوسف ،وعلى رغم من أن صالح بن يوسف حاول أن يحسم الصراع على أرضية السياسية خلال مؤتمر الحرب إلا أن بورقيبة لجأ إلى مواجهة العسكرية .

–من الصراع السياسي إلى الصراع الدموي :

على أثر إنعقاد مؤتمر صفاقس برزت بوادر الصدام المسلح بين الزعمين فشكل الحبيب بورقيبة تيار يتنمي أعضاءه إلى مدينة المنستير والواردين وكانت هذه التشكلية ترافقه إلى مختلف المدن التونسية ،وكان بورقيبة يخطب فيها الخطابات التعبوية للشعب التونسي بعد إنعقاد مؤتمر صفاقس مباشرة[1]

–كما كون مناصر و"صالح بن يوسف "تنظيم عسكري أطلقوا عليه جيش التحرير الوطني وذلك قبل فرار صالح بن يوسف إلى طرابلس ،وكانوا من المناضلين الوطنين الذين اكتسبوا خبرة عسكرية خلال الواجهات العسكرية مع الإستعمار الفرنسي.[2]

[1]–عميرة علية الصغير : اليوسفيون وتحرر .....،المرجع السابق،ص86.

[2]–الطاهر بن عبد الله : المرجع السابق ص165 .

-إستمرار المقاومة المسلحة :

بعد الاستعداد للمقاومة المسلحة منذ مدة طويلة بتكوين وحدات سرية وتدريب شباب في المدارس لدى مصر وسوريا والعراق في معسكرات بطربلس كما درب البعض على صنع المفرقعات واستعمال الأسلحة من نوفمبر **1942-1943** على يد ضباط ألمان أثناء احتلالهم لتونس خلال الحرب العالمية الثاني.[1]

-تضاعفت المقاومة بعد اغتيال النقابين والمسؤولين في المنظمات الوطنية والجمعيات وتفنن المناضلون والشباب في صنع القنابل والمفرقعات اليدوية لتخريب المعالم الاستعمارية وتوخي أساليب مباغته العدو وفي عقر داره.[2]

-خرج الشعب التونسي في مظاهرات وإعتزالها جيوش الإحتلال بأسلحتها ومعداتها الحربية وسجن الأبرياء من الشعب التونسي أعداد وتعد ولا تحصى وتهدت القوات الفرنسية التنكيل بالمواطنين ،فدخلوا البيوت وقتلوا الأطفال والشيوخ واعتدوا على النساء ،لكن لم يتراجع الشعب التونسي وإنتقل وإلى مقاومة العسكرية فكان المواطنون يلجؤون إلى الجبال يتدربون على السلاح وي دوريات الجيش الفرنسي

-كان حصيلة القمع الإستعماري نهاية 1954 عندما سلم الفلاقة أسلحتهم تقدر ب486 شهيد منهم 111سنة 1952 و87 سنة 1953 و288 سنة 1954[3]

- رغم كل ذلك الإضطهاد تم عقد مؤتمر وطني بتونس يوم الجمعة يوم 18 جانفي 1956برئاسة الهادي شاكرا ،أكد المؤتمر على إلغاء نظام الحماية وتحويل تونس إلى دولة

---

[1]-عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ص،.419 .

[2]-منصف الشابي : المرجع السابق،ص123.

[3]-تأليف شلة من الأساتذة الباحثين : موجز الحركة..... ،المرجع السابق ،ص 153.

مستقلة ذات سيادة وطنية واحتج المؤتمر على إجراءات القمعية في حق بورقيبة ومدير الحزب "المنجي سليم "وبقية أعضاء الحزب الدستوري وأكد المؤتمر على تضامنه معهم.[1]

تألقت في تونس فرق من المقاومة الشعبية كانوا يقومون بتقطيع الفرنسيين وتركهم جثثا هامدة في الطريق ،وتكونت شعب الفلاقة في الجبال وأناروا الذعر في نفوس الفرنسيين الأمر الذي أجبر الحكومة في باريس على إعادة النظر في موقفها اتجاه القضية التونسية.[2]

–ويمكن دور صالح بن يوسف في التوزيع الجغرافي للمقاومات المسلحة ،حيث تعود دعوة صالح بن يوسف للمقاومة المسلحة إلى بداية نضاله في حقوق الحزب الحر الدستوري الجديد حيث كان على وعي تام وعلى قناعة بضرورة تفجير قوة الشعب لضرب الإستعمار وإجباره على صنع تونس إستقلالها التام .

–تواصل العمل الفدائي المسلح طوال 3 سنوات التي سبقت بداية المفاوضات ،ولم تتوقف هذه العمليات رغم النداءات المتكررة للباي ولبعض قادة الحركة الوطنية.[3]

–وفي الليلة الفاصلة بين /24–25مارس 1952 أقدمت سلطات الإحتلال على عمل في منتهى الخطورة بقيادة "دي ت وكلوك "،إذا وهمت بيوت الوزراء من الحكومة التونسية وألقت القبض عليهم والسادة :محمد شنيق ومحمود الماطري ومحمد بن سالم ومحمد الصالح مزالي ،وتم إبعادهم في نفس الليلة إلى جهة الجنوب التونسي ،ولم تلفت هذه الهجمة إلا وزير الفلاحة السيد محمد سعد الله ،إذا كان ملازما للفراش بسبب مرضه .

---

[1]–علي البهلوان: المصدر السابق ص 153.

[2]–محمد عبد الرحمان برج :"**الويس إلى بنزرت ،دراسة تاريخية مقارنة بين الحركة الوطنية في مصر وتونس** " دار الشعب ،القاهرة دبس ،ص157 .

[3]–منصف الشابي: المرجع السابق ،ص..47 .

– ننقل زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد السادة الحبيب بورقيبة و المنجي سليم والهادي شاكر من منافهم إلى طبرقة إلى رمادة .[1]

وأرسل "دي هو توكلوك "إلى الحكومة الفرنسية يطالب القبض على الزعيم "صالح بن يوسف "والسيد محمد بدرة "وزير الشؤون الإجتماعية المقيم العام في باريس وقد كانت الحراسة شديدة عليهما من طرف البولسين ،ولكنهما توصلا في صباح 26 مارس إلى معرفة أخبار تونس رغم قطع جميع المخابرات التلفزيونية والبريقة بين تونس وباريس ،كما علما بإلقاء القبض على زملائهما في النضال فأعدا سفرهما وغادر فندق "الجراند أوتيل "الذي يمتاز بموقعه في قلب العاصمة التونسية . [2]

–وفي صباح اليوم على الساعة الثامنة والربع تفقدا غياب البوليس الفرنسي ولم يعلما أحد بسفرهما إلى تونس ،وفرا ،وبعد فرارهما تفطنت البوليس لهما وشددت الحراسة على الحدود والرقابة على بعض السفارات ضنا أن الوزيرين "صالح بن يوسف ،محمد بدرة "قد لجأ إلى سفارات إحدى الدول العربية ،إذا تفاجئي بوصلهما إلى بروكسل قبل أن تنفذ أوامر البحث عنهما بساعة ،وإنتقل منها إلى جنيف ثم القاهرة ،إذا أصبح الزعيم صالح بن يوسف يمثل في نفوس التونسيين رمز للتحدي والمناورة على الذكاء على فرنسا في في عقر دارها . [3]

–التوزيع الجغرافي للمقاومات :

–إنطلقت المقاومة في كامل البلاد التونسية وكان من حين قادتها الأزهر الشريطي ،والسياسي ،عمار البني ،وكان مجال عمليا تهتم في الجنوب والطاهر سود والسياسي لسود

[1]– خليفة الشاطر وأخرون : المرجع السابق ،ص 151.

[2]– علي البهلوان : المصدر السابق ،ص189 .

[3]– منصف الشابي: المرجع السابق ،صص128،127.

فإن مجال تحركاتهم كان في منطقة بني زيد بالأعراض ،وبلقاسم البارزمي في منطقة المواريق بقلبي ،ومصباح الجربوع في منطقة مدنين وتطاوين والعجيمي بن مبارك في القيروان وجلاص وحسن بن عبد العزيز والعتمي بن مبروك في الساحل ومحمد النيفر بصفاقس.

–استطاع المقاومون الصمود والتفوق على جيش العدو بتكيفهم للعمليات الفدائية خاصة في الليل وكذلك لمعرفتهم الجيدة للشعاب والصحاري والمسالك وبسب تحركاتهم السريعة والماجئة[1] .

–كانت أهم المعارك التي أبدى فيها المقاومون التونسيون نتائج جيدة واشتد بها كثيرون ما يقارب 288 شهيد من ربيع 1954 إلى نهاية هذه السنة لأن القوات الفرنسية كانت ضخمة وعزمت على القضاء على المقاومة المسلحة التي أصبحت مصدر قلق للجاليات الأوروبية وتهدد الوجود الفرنسي خاصة أن السلطات الفرنسية لجأت إلى مخرج سلمي لأزمة التفاوض في تونس مع الوطنين ومن أهم **الإصطدامات والوقائع:**

- معارك جبال عرباطة (27 مارس و9جوان و05 جويلية 1954.)
- معركة جبل هداج (1سبيتمبر 1954)
- معارك جبل سيدي عيش 1954. [2]

[1]– عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ،ص424.

[2]– تأليف ثلة من الأساتذة الباحثين : موجز الحركة الوطنية ،المرجع السابق ،ص163.

المبحث الرابع : نشاط صالح بن يوسف لتوحيد الكفاح المسلح.

إن توقيع اتفاقية **الاستقلال الداخلي** في **03 جوان 1955** أدى إلى تفجر الصراع بين القوى الوطنية في تونس وإلى ظهور تياران احدهما يطالب بالاستقلال التام ووحدة الكفاح ألمغاربي ويمثله صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد والاتجاه الثاني الذي قبل باتفاقيات الاستقلال الذاتي والذي يمثله الحبيب بورقيبة رئيس الحزب.[1]

لقد أدرك صالح بن يوسف أكثر من غيره مبكرا ضرورة العودة للكفاح المسلح من اجل تدعيم الكفاح الثوري وهذا لخدمة أهداف لجنة تحرير المغرب العربي وبدا صالح بن يوسف حملة المعارضة لاتفاقية الاستقلال المتوصل إليه في تونس من القاهرة ، مستعينا في ذلك بعدد من الثوريين وعلى رأسهم الطاهر لسود وقد هذا الاتجاه الثوري المساندة الكاملة من طرف السلطات ا لقوية ومن القادة الجزائريين والمغاربة وبذلك أصبح صالح بن يوسف حليف للمشروع الوحدوي الذي ينادي به قادة الثورة الجزائرية بالداخل والثوار بالخارج[2].

لم يكن ارتباط القضيتين **الجزائرية** و**التونسية** نابعا من شعور الوحدة والتضامن المنبعث من مبادئ لجنة تحرير المغرب العربي فحسب ،فأصبح مؤكد بان القضية التونسية أصبحت في أمس الحاجة إلى تحرر الجزائريين ، مثلما كانت الثورة الجزائرية بحاجة إلى الدعم التونسي واستمرارهما في المعركة ، اندلعت المقاومة التونسية في 1952 واشتدت وبدأت في تحقيق مطالبها ومكاسبها، ودعا المناضلون التونسيون لي ضرورة دعم القضية الجزائرية والتعريف بالقضية التونسية وذلك عن طريق الدعاية الإعلامية وعل اثر عودة الحبيب بورقيبة من باريس مان يطلب من المناضلين الجزائريين ضرورة فعل شيء ما .[3]

---

(1) طاهر بن عبد الله : المرجع السابق ،ص116.

(2)–عبد الله مقلاتي : "**العلاقات الجزائرية المغاربة والإفريقية إبان الثورة الجزائرية** " ،ج1 ،ط1 ،دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009،ص 45.

(3)–عبد الله مقلاتي : "**الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمقاومة التونسية1954–1956** " ، مجلة المصادر ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر ، ع19 ،السداسي الأول 2009،ص ص174 ،175.

ومن جهة أخرى كان قادة الثورة الجزائرية في الداخل وفي القاهرة عشية التحضير للثورة في التنسيق مع الثوار التونسيين وكسب موقفهم لصالح ثورة موحدة تشمل أقطار المغرب العربي ، وقد تفاجئ بمبادرة فرنسا بإعلانها للاستقلال الداخلي لتونس .

هذه التسوية الميدانية التي قيل بها صالح بن يوسف مثلت ضربة لمبادئ التنسيق المشترك و الاتفاقيات المغاربية والتي وقع عليها بورقيبة نفسه ، والتي تدعو إلى عدم قبول الحلول الجزئية والتمسك بالحل الشمولي لكافة أقطار المغرب العربي وفضها المقأومون ولم يستجيب لنداء تسليم الأسلحة الذي دعا إليه الحبيب بورقيبة والتي انتقدها قادة الحزب الدستوري "علي البهلوان ، الرشيد إدريس ، صالح بن يوسف ".[1]

كانت تونس على اتصال وثيق بالجزائر خلال فترة الثورة الجزائرية وذالك لاتصالها المباشر معا الجزائر وعدم وضوح الحدود التي تفصل بين البلدين ولموقع تونس والجزائر من حيث تدفق المعونات و المساعدات الحربية إلى الثوار في الجزائر ولاختيار حكومة الثورة الجزائية تونس كمقر لها. [2]

عند اندلاع الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954 كانت الثورة في تونس قد بلغت أوجها وبدت روح الاستقلال تلوح في الأفق حتى حصلت علي استقلالها في 20 مارس1956 شجع هذا الاستقلال الوطنيين الجزائريين لمواجهة الاستعمار الفرنسي ، فعمد الوفد الخارجي الجزائري بالقاهرة منذ 1952 بقيادة

محمد خيضر وحسين ايت احمد واحمد بن بلة على اتخاذ تونس قاعدة خلفية لنشاط قيادة الثورة الجزائرية ، خاصة فيما يخص تهريب الأسلحة وبحكم التجأور بين البلدين ولأهمية تونس باعتبارها همزة وصل بين الجزائر وليبيا والمشرق العربي (مصر).[3]

(1)–عبد الله مقلاتي ،العلاقات الجزائرية المغاربية ،المرجع السابق ،ص 207.

(2)–محمد فرج :" **الامة العربية على الطريق الى وحدة الهدف تاريخ الامة العربية من الاحتلال العثماني** الى مؤتمر **القمة العربي 1954–1964** "،دار الفكر العربي ، القاهرة ، دس ،ص351 .

(3)– منصف الشابي : المرجع السابق ، ص 172.

بعد استقرار صالح بن يوسف بالقاهرة ، التحق بمكتب المغرب العربي واعلن تأييده للعمل المغاربي الموحد للاستقلال التام لافريقيا وعند مشاركنه في مؤتمر باندونغ مثل الوفد المغاربي كما وقع في 20 افريل 1955 رفقة حسين ايت احمد وعلال الفاسي على تصريح لمطالبة الكتلة الافرواسيوية ان تتخذ لدى الامم المتحدة موقف فعال دول المغرب العربي .[1]

بحكم العلاقات المتينة التي كانت تربط الشعبين الشقيقين حفل كفاح الشعبين التونسي والجزائري ضد الاستعمار الفرنسي بالعديد من مظاهر التضامن والتازر تجسدت في مشاركة الجزائريين المقاومة التونسية منذ 1952 ، ومشاركة التونسيين في الثورة الجزائرية منذ اندلاعها .

أكد مؤتمر طنجة المغاربي على توحيد شعوب المغرب العربي في اطار مؤسسات مشتركة ، واقروا على العمل على تحقيق الوحدة المغاربية .[2]

في الواقع لم يكن الحديث عن "دعم تونس" واضح للثورة الجزائرية في الفترة الواقعة مابين 1954 – 1956 لان تونس في هذه الفترة كانت لا تزال تحت سلطة الحماية الفرنسية وفاقدة لسيادتها الوطنية ويبدأ الدعم التونسي الفعلي للثورة الجزائرية بعد استقلال تونس مارس 1956 وتاسيس الدولة التونسية إلى غاية انتصار الجزائر سنة 1962 .[1]

حقق التضامن مع كفاح الشعب الجزائري ودعم قضيته اجتماعيا في تونس مدعوم باستعداد شعبي كبير لنصرة الثورة الجزائرية ، كانت السياسة مدعومة باستقبال شعبي كبير لنصرة الثورة الجزائرية ، كانت السياسة الفرنسية ترمي إلى تجديد الشعبين التونسي والمغربي

---

(1) – فتحي الديب ، المصدر السابق ،ص420.

(2)– عبد الله مقلاتي : "**مؤتمر طنجة المغاربي ومسالة الوودة والتضامن مع الثورة الجزائرية** "،مجلة المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954،العدد20، السداسي الثاني،الجزائر ،2009، ص187

(1) – مصطفى نويصر واخرون : " **الدعم العربي للثورة الجزائرية** "، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ،2007،ص ص 30.31 .

ولتفادي تعميم الكفاح المشترك لأقطار المغرب العربي بعد أن تأكد لها خطر شعبية الثورة الجزائرية .

لم يكن ارتباط القضيتين **الجزائرية والتونسية** نابعا عن شعور الوحدة والتضامن المنبثق عن مبادئ لجنة تحرير المغرب العربي فحسب ، كما ان القضية التونسية كانت في أمس الحاجة من خلال ثورتها وإلى مساندة وتحرك الجزائريين مثلما كانت الثورة الجزائرية بحاجة إلى دعم التونسيين .[2]

لم يكن الدعم التونسي مقتصر على المساعدات التونسية الإنسانية المقدمة للمهاجرين الجزائريين بل شمل أيضا محأولات أخرى متعلقة بالثورة الجزائرية بشكل أساسي على الحدود التونسية خاصة فيما يخص الحصول على الأسلحة هذا بعد صدور قرار توقيف الكفاح المسلح حيث ان عدد من الجزائريين التحقوا بصفوف المقاومة التونسية واثروا الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني بدلا من تسليم أسلحتهم إيمانا منهم بضرورة مواصلة الكفاح المشترك ضد الاستعمار الفرنسي.[3]

كانت فرنسا تمنع التحام الثوار للجزائريين للتونسيين ، كما واجه مشروع الكفاح ألمغاربي المشترك الذي انتعش بالثورة الجزائرية وواجهته السياسة البورقيبية والمخططات الفرنسية .[1]

كان استقلال تونس تأثير بالغ الأهمية على الثورة الجزائرية إذ تم اعتماد تونس منطلق للتزويد بالأسلحة وتركيز القواعد الخلفية والنشاطات العلمية و السياسية. [2]

---

(2)– عبد الله مقلاتي : الثورة الجزائرية وعلاقتها ....،المرجع السابق ،ص 174.

(3) – صالح عسول: **اللاجؤون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956–1962**"،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ وعلم الاثار جامعة الحاج لخضر باتنة ،2009،ص92 .

(1)–نفسه : ،ص181.

(2) –عبد الله مقلاتي **:دور بلدان المغرب العربي في دعن الثورة الجزائرية** " ،ج1 ،دار بوسعادة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2012 ،ص 70.

كما مثلت تونس ملجئ للمقأومين الجزائريين على اختلافهم السياسي والعسكري وضمنت لهم شروط النجاح في مهمتهم في التحريرية .

وعرفت الفترة مابين **1954 – 1956** أسمى مظاهر التضامن بين الشعب التونسي والجزائري والدعم التونسي للثورة الجزائرية في جهة موحدة لمحاربة الاستعمار وتدخل في معارك مع عساكره من جبال تيطأوين بالجنوب الشرقي لتونس إلى جبال قفصة والنمامشة وسوق أهراس وخمير وعلى كامل الحدود التونسية الجزائرية .[3]

كانت الثورة الجزائرية في حاجة إلى الأسلحة لمواصلة نضالها ولهذا استعان الجزائريون بإخوانهم التونسيين لمنعهم وتسليمهم الأسلحة التي في حوزتهم

ولإدخال الأسلحة القادمة من أوروبا ومصر إلى الجزائر عبر الأراضي التونسية برأو بحرا وجوا وقد تعون الجزائريين مع التونسيين لتهريب أسلحتهم إلى الجزائر عبر جبال بقوافل الإبل وسيارات الإدارة والجيش التونسي والحرس الوطني .[4]

تمثل الدعم التونسي للثورة الجزائرية على المستوى الرسمي حيث كان هناك فيض من تنامي المقاومة الجزائرية ومساهمة فعلية في أحداثها الحربية قبل أن يضع الثوار التونسيين أسلحتهم سنة 1952 ، هب المئات من الثوار وبدعم من الحزب الدستوري الحر الجديد لنصرة الثورة الجزائرية ، ومن أشهر الملتحقين بها طاهر لسود ولزهر الشرايطي كما كان التحام المقاومين التونسيين والجزائريين بدفع من صالح بن يوسف وقيادة ميدانية من طرف الطاهر لسود حيث تكونت أكثر من 20 ألف إصابة على كامل الحدود الجزائرية التونسية خاصة في الجنوب والوسط .

(3)– عميرة علية الصغير: اليوسفسون وتحرر ...،المرجع السابق ، ص217.

(4) – حبيب حسن اللولب :" **التونسيون والثورة الجزائرية**" ، ج2،،ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر،2009 ،ص76 .

كان أكبر دعم لهذه المقاومة التي دامت من 1955إلى نهاية 1957 تقريبا هو تسريب السلاح للثوار الجزائريين عبر شبكة تنطلق من طرابلس مرورا بالحدود الجنوبية وقابس والحامة وجبال قفصة نحو الأوراس والنمامشة .[1]

– صرح **المقاول عبد الوهاب** السندي بأنه خلال اندلاع الثورة التونسية صدرت أوامر من الذيوان السياسي للحزب الدستوري التونسي خلال سنة 1954 إلى القومين التونسيين للدخول إلى الجزائر وبدعوة الجزائريين إلى الثورة المسلحة ، وطلب المساعدة منه ، وقد تدخلن آنذاك أربعة فرق من المقاومة المسلحة التونسية إلى الشرق الجزائري ومن بينهم فرقة بوزيان التي توجهت إلى جهة الشريعة وعقدت اجتماع مع الجزائريين وطالبت مساعدتهم بتقديم الأسلحة ، وتواصلت المقاومة لمدة شهر تقريبا حيث دخلوا إلى النمامة وبئر العاتر لمدة شهر تقريبا .[2]

أدرك **صالح بن يوسف** أكثر من غيره ضرورة العودة إلى الكفاح المسلح ومن اجل توحيد وتدعيم الجناح الثوري وهذا لخدمةاهذاف لجنة تحرير المغرب العربي ، بدا صالح بن يوسف حملته بمعارضة لاتفاقية الحكم الذاتي مستعينا في ذلك بعدد من الثوريين وعلى رأسهم الطاهر لسود ، وقد لقي هذا الاتجاه الثوري الساندة الكاملة من طرف السلطات المصرية ومن القادة الجزائريين والمغاربة ، وبذلك أصبح صالح بن يوسف حليف للمشروع الوحدوي وينادي به قادة الثورة الجزائرية بالداخل والثوار بالخارج .[1]

وفي هذا الإطار التقى **صالح بن يوسف** مع **احمد بن بلة** عقب عودته من مؤتمر باندونغ هذا بهدف التنسيق لإحياء جبهة الكفاح المسلح في تونس و بعد الاجتماع غادر صالح بن يوسف من القاهرة إلى طرابلس لمعاينة الوضع مبدئيا و عاد إلى القاهرة في أواخر شهر سبتمبر 1955 هذا بعد دراسة إمكانية الكفاح المسلح و بتدعيم من السلطات المصرية

(1) – عميرة علية الصغير : نفسه ، ص 165.

(2) – حبيب حسن اللولب: ج2،المرجع السابق ، ص ص79.80.

(1) – عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية المغاربية ، ج1 ،المرجع السابق ،ص ص 306.131.

تم الاتفاق على استدعاء الطاهر لسود إلى ليبيا من اجل وضع خطة للكفاح المسلح وتنسيق العمل الثوري المغاربي [2].

. وصل **الطاهر لسود** إلى تونس في 24نوفمبر1955 و التقى بالضابط فتحي الذيب تحليل الوضع بتونس و دراسة إمكانية المجاهدين فيها تم الاتفاق على إحياء الكفاح المسلح و الاتصال فورا بممثلي جيش التحرير الوطني الجزائري بمناطق : تبسة، سوق اهراس، قسنطينة من اجل تنسيق العمل المسلح بين الجبهتين التونسية و الجزائرية ، و التزمت قيادة المقاومة في تونس لتواصل السلاح و الدخيرة إلى جيش التحرير الجزائري.[3]

. كما تحلى التضامن مع الجزائريين في المستوى الشعبي في التعبير عن المساندة وحضور مختلف التظاهرات الدائمة في الإسهام بالتبرعات و خاصة في احتضان أكثر من 140الف لاجئ جزائري الكثير منهم آوتهم العائلات التونسية أو رعتهم الدولة التونسية.

كما أسهم المهاجرون التونسيون خاصة في فرنسا من عمال و طلبة في دعم المقاومة الجزائرية و تعرض الكثير من منهم لسجن لتقديم أموال أو مساعدات لرفاق النضال المسلح.[1]

. كما قام "صالح بن يوسف" بحملات توعية داخل تونس دعا فيها كافة الشعب التونسي للوقوف إلى جانب إخوانهم الجزائريين و دعم ثورة نوفمبر 1954 و هذا ما اعلنه في خطابه بجامع الزيتونة في 07 أكتوبر 1955.[2]

(2) – فتحي الديب: المصدر السابق ، ص ص130.131 .

(3) – فتحي الديب :نفسه ، ص 133.

(1) – عميرة علية الصغير :اليوسفيون وتحرر المغرب .....، المرجع السابق ، ص166.

(2) – الطاهر بن عبد الله : المرجع اليابق ، ص 116.

كما اهتم بتدويل القصية الجزائرية مدافعا عنها و عن حق الشعب الجزائري في الاستقلال من خلال إرساله لبرقية إلى رئيس الكتلة الإفريقية الأسيوية في الأمم المتحدة بتاريخ أكتوبر 1955جاء فيها : "اعبر لكم باسم الشعب التونسي عن عميق عرفاننا بالجميل راجين تبليغ رسالة شكرنا إلى كل وفود الكتلة الافرواسيوية و جميع الوفود الأخرى الصديقة التي ناصرت قضية الشقيقة الجزائر ...."[3].

. كما ساند صالح بن يوسف و انصار الحركة اليوسفية الثورة الجزائرية خاصة قادة الثورة المؤمنين باكفاح المسلح ادا رفض العديد من الجنود تسليم اسلحتهم للسلطة الفرنسية اثر قرار نوفمبر 1954 ، مفضلين دعم الثوار الجزائريين بها .[4]

. بعد عودة " صالح بن يوسف " إلى تونس و اشتد اد المعارضة التونسية ، قررت الحكومة التونسية إلقاء القبض عليه ووضع حد للتيار الوجودي و لكنه تمكن من القرار إلى ليبيا في 28 جانفي 1956.

. و قبل مغادرته لتونس عقد اجتماع ببيته حضر هذا الاجتماع عن الجانب التونسي **الطاهر لسود** .[1] و الطبيب الزلاق و علي الزليطي ، و حضر عن الجانب الجزائري السعيد عبد الحي ، وعباس الغرور ، وحضر عن المغرب الأقصي محمد البصيري كان هذا الاجتماع حاسم في توثيق العلاقة بين الثوار اليوسفيين و قادة الثورة الجزائرية .

---

(3) – محمد ضيف الله : المرجع السابق، ص234 .

(4)– الطاهر بن عبد الله: المرجع السابق، ص132 .

(1) – الطاهر لسود: هو الطاهر بن علي بن محمد الصالح الزيدي ولد ستة 1911 شمال الحامة تعلم القرآن في الكتاب ، شرع في العمل المسلح عام 1952 إذ رفض نداء بورقيبة للثوار بتسليم أسلحتهم، و كون جيش التحرير التونسي في 1955 و شارك في جيش تحرير المغرب العربي ، حيث عينه جمال عبد الناصر القائد الأعلى لهذا الجيش : ينضر الهادي وناسي:**الطاهر لسود القيادة العامة لجيش تحرير شمال إفريقيا** "، مطبعة التفسير الفني ،ط1،2008،ص ص 30.31.

. و كانت أكيد خدمة قدمتها تونس للثورة الجزائرية هي السماح بتسريب الأسلحة القائمة من الشرق (من مصر أساسا) أو الدل الصديقة (أوروبا الشرقية) أو المصرية إلى وحدات المقاومة في الجزائر عبر الحدود التونسية و أحيانا شاحنات الجيش و الحرس الوطنيين .

. يقدر دارسو التاريخ العسكري للحرب في الجزائر أن 80% من الأسلحة التي دخلت الجزائر مرت بتونس ، و خوفا من سقوط الأسلحة في يد أعداء النظام وقع اتفاق بين القيادة التونسية و القيادة الجزائرية على تنظيم تهريب الأسلحة ، و كلف المناضل احمد التليلي بهذه المهمة مع ملاحظة أن بعض السفارات و خاصة تونس في روما كانت أيضا مخبأ لأسلحة جبهة التحرير .[2]

. باشر احمد بن بلة جهوده لجمع الأسلحة و تمريرها عبر ليبيا و تونس إلى الجزائر مع أنصار صالح بن يوسف ، و تحت تأثير العلاقات التي تسجها في القاهرة مع قادة الثورة الجزائرية وجه صالح بن يوسف انتقادات حادة لخطوات سير المفاوضات .[1]

. كسب صالح بن يوسف الدعم المصري و ارتباط بعلاقات وثيقة مع ممثلي الوفد الجزائري في القاهرة من اجل تنسيق مهمتين أساسيتين هما: تشكيل لجنة مشتركة جزائرية تونسية في ليبيا لاستقبال و تهريب الأسلحة يشرف عليها عبد العزيز شوشان. [2]

. وتوضح المصادر كذلك أن جزائريين بتونس كانوا يقومون بعملية تهريب الأسلحة للثوار الجزائريين حيث أصدرت المندوبة السامية لفرنسا بتونس البيان التالي : " بلغ إلى علم

(2) – عميرة علية الصغير : اليوسفيون وتحرر ....المرجع السابق ، ص 167.

(1)– فتحي الذيب : المصدر السابق ، ص 99.

(2) – منصف الشابي : المرجع السابق ، ص ص145 .146

مصالح الأمن مند مدة قليلة بان هناك بعض الجزائريين بتونس والمتلوي يقومون بعملية تموين عصابات الثوار العاملة على الحدود الجزائرية من ناحية الجنوب الغربي بالأسلحة.[3]

. كما وقعت عدة معارك وقف عليها الجيشان جنبا إلى جنب و قائلا فيها الجيش وأم العرائس والرديف والملتوي ونقطة، وكان الجيش التونسي يمون الجميع إيمانا منه بوحدة الكفاح المشترك المغاربي و بعد استقرار صالح بن يوسف بليبيا بدا جيش التحرير في التنسيق مع جيش التحرير الجزائري وهذا من اجل العمل المشترك .[4]

ازداد التلاحم ين أنصار الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية بتأسيس جيش تحرير شمال إفريقيا في فيفري 1956 إذ أعلن الطاهر لسود عن تأسيسه كما أعلن الطاهر لسود عن ضم الجيش التونسي إلى جيوش الجزائريين و المغاربة.[1]

وقد سعا صالح بن يوسف لدعم الثورة الجزائرية إعلاميا ودوليا لتحسيس الشعوب الأوروبية وخاصة الشعب الانجليزي بالقضية المغاربية إذ أدلى بتصريح لجريدة "ساندي تايمز " في أفريل 1955 برر فيه أسباب استئناف المجاهدين التونسيين للمعارك بتونس لتهوين الجهد العسكري الفرنسي وتحقيق الضغط على المجاهدين الجزائريين.

كما عقد صالح بن يوسف ندوة صحفية بمكتب المغرب العربي القاهرة حضر هذه الندوة الصحافة العربية الأوروبية تحدث فيها عن الثوار التونسيين والجزائريين لتسهيل انتصار الوطنيين الجزائريين من طرابلس لمواصلة المقاومة ولحذرهم من الانصياع الأوامر الحبيب بورقيبة .[2]

---

(3) – حبيب حسن اللولب، ج2، المرجع السابق ،ص 52.

(4) – الطاهر بن عبد الله المرجع السابق ص133.

(1)– عبد الله مقلاتي ،العلاقات الجزائرية المغاربية، ج1 ، المرجع السابق ، ص ص306.307.

(2) – حبيب حسن اللولب ،ج1 ، المرجع السابق ،55.56.

وفي رسالة أرسلها صالح بن يوسف الر إبراهيم بن طوبال رئيس مكتب تونس بالقاهرة بتاريخ 01 أوت1961 تحدث فيها عن اجتماعه بالمسؤولين الجزائريين واتفاقهم حول مواصلة التعاون والتنسيق بين الثورة الجزائرية والحركة اليوسفية وتجسيدها على أرض الواقع.[3]

كما عملت الصحافة التونسية على نشر خبر الثورة لتزيد المهاجرين قوة وصلابة في دعم ثورتهم ومن جهة أخرى إشعار التونسيين بالمهمات الصعبة التي تنتظرهم في دعم إخوانهم الجزائريين والوقوف معهم في ضرائهم.

(3) – منصف الشابي ، المرجع السابق، ص ص244.245 .

ونضرا لأهمية البعد الإعلامي في التعريف بالقضية الجزائرية انتهجت جبهة التحرير الوطني إستراتيجية واسعة في التجنيد والدعاية والتعريف بالثورة الجزائرية وكان هذا المكتب تابع لجبهة التحرير الوطني بقاعدة تونس ثم أصبح تحت إشراف وزارة شؤون الأخبار الجزائرية ويقوم هذا المكتب بالإشراف على كل النشاطات الإعلامية والسياسية كصحيفتي المقاومة والمجاهد وإذاعة صوت الجزائر بتونس كما يختلف المكتب كذالك بالاتصال مع الصحف المحلية والدولية ومختلف السفارات للدعاية للثورة الجزائرية .[1]

بالإضافة إلى ذالك فقد تضامن التونسيون مع أشقائهم الجزائريين من خلال القيام بالعديد من العائلات التونسية باستضافة عائلات جزائرية بأكملها كما تجسد هذا التضامن في تقديم يد العون إلى كافة الجزائريين الذين لجؤ إلى الأراضي التونسية بسبب الأساليب الوحشية وسياسة الأراضي المحروقة وقد أشارت وثائق الأرشيف الوطني التونسي التي قام بها عميرة علية الصغير بدراستها أن عدد اللاجئين بلغ سنة 1957(250.000الف لاجئ مهم 85.000الف امرأة و40000 ألف يتيم)[2]

ميلاد جيش التحرير التونسي فيفري 1956:

في خضم اشتداد الصراع بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة تشكل جيش التحرير التونسي بقيادة الطاهر لسود وكان تشكيل هذا الجيش نتيجة لتطور

(1) – عبد الله مقلاتي : "**النشاط الانساني للثورة الجزائرية بمركز اللاجئين وأثره على العلاقات الجزائرية المغاربية**" ،نشاط الهلال الأحمر نموذج، مجلة المصادر ، ع10 ،2004 ،ص64.

(2) – نويصر واخرون ، المرجع السابق ، ص43.

الأحداث على الساحة المغاربية منذ اندلاع الثورة الجزائرية وقوتها وتأكيد البعد المغاربي .[1]

ويرجع أسباب ميلاد هذا الجيش للأسباب والحقائق التالية :

*أغلبية المقاومين التونسيين كانوا يتصورون أن العودة للمقاومة المسلحة تدخلا في باب المناورة السياسية بين كل من صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة واقتسام الأدوار لكسب أكثر ما يمكن من التنازلات لصالح القضية الوطنية .

*بعض قدماء الفلاقة الذين انخرطوا من جديد في العمل المسلح كان لهم شعور بالخيبة إذ لم تقدر تضحياتهم حق قدرها ولم تمنح لهم الترضيات التي يستحقونها

*أوضاع الفقر السائدة آنذاك وخاصة في الوسط والريف دفعت بالعديد للانخراط في صفوف جيش التحرير لضمان دخل أو امتيازات مستقبلية .

*السهوب الحدودية مع الجزائر كانت تحت دعوى المقاومة الجزائرية التي كان لها بؤر نشيطة هناك .

* قرب الجنوب التونسي من طرابلس مركز القيادة والتدريب ومصدر السلاح .[2]

(1) – عميرة علية الصغير ، اليوسفيون وتحرر ..... ، المرجع السابق ، ص86.

(2) – دحو جربال:"**جيش التحرير المغاربي 1948-1955 أعمال ملتقي** " ، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر،11-12 ماي 2001، الجزائر ، 2004 ،ص 89 .

. الانتماء العروشي و الجهوي يبرز خاصة التمرد الشبه كامل للجنوب و خاصة الجنوب الشرقي ، بالإضافة إلى انتماء الطاهر لسود (من الحامة) و" صالح بن يوسف "إلى الجنوب و غيرهما ، فان هده المنطقة من البلاد و حسب اتفاقية الاستقلال الداخلي لم يتغير وضعها وبقيت دائما تحت جزمة الحكم العسكري .

. كل هده العوامل كونت تيار معارضين انخرط في المقاومة المسلحة مند أواخر 1995 بقيادة الطاهر لسود و قد تهيا دلك بعد اجتماعات تحضيرية وتنسقيها منها : اجتماع " **صالح بن يوسف** .[1]

. و نتيجة لتصاعد العمليات العسكرية في المغرب العربي اقر" صالح بن يوسف" وأنصاره على تكوين منظمة شبه عسكرية للأمانة العامة تولى إدارتها عبد الرحمان الشملي وعرفت بالجبهة المضادة .

. كون صالح بن يوسف منظمة أخرى اشرف عليها رضا بن عمار ، و بازدياد الدعوة للعمل المسلح التقى صالح بن يوسف مع الطاهر لسود و اتفقا على تجنيد المقاومين لحمل السلاح و دلك بالتنسيق مع الجزائريين .[2]

. كان لصالح بن يوسف دور هام في تأسيس جيش التحرير الوطني التونسي الذي تحول إلى جيش التحرير المغاربي، غير أن محاولات صالح بن يوسف لتوحيد جبهة القتال المغاربية تعود إلى استقراره في القاهرة سنة 1952، فبعد دلك اتصل بمكتب المغرب العربي شرع في دعم المقاومة المسلحة في تونس و في سنة 1953 اتفق " صالح بن يوسف " مع "احمد بن بلة " على الشروع في تكوين كتائب عسكرية مكونة من تونسيين و جزائريين ومغاربة. [3]

(1) – عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية المغاربية.....، المرجع السابق ص182 .

(2) – عميرة علية الصغير اليوسفيون و ..... ،المرجع السابق ص89 .

(3)– نفسه ص89 .

. يعود إنشاء " صالح بن يوسف " لهذا الجيش إلى افريل 1955 بعد اجتماع مع احمد بن بلة و فتحي الذيب و اتفق معهما للعودة للكفاح المسلح و تزعم رفقة " يوسف الرويسي" معارضة تسليم لأسلحتهم.[1]

. تحصل" صالح بن يوسف" من الجامعة العربية على قرض قدر ب: 300 ألف جنيها مصريا ، و تم شراء مزرعة بطرابلس الساحل لتدريب الثوار الجزائريين و التونسيين على حرب العصابات و وضع التفجيرات ، و لتنسيق العمل بين صالح بن يوسف و احمد بن بلة سافر احمد بن بلة رفقة " عبد الله العبعاب " إلى ليبيا لتنسيق العمل مع المتطوعين الليبيين عبر الأراضي الليبية ومنه معسكر آخر بمصر.[2]

. أجرى " صالح بن يوسف" خلال تواجده بباندونغ مفاوضات من اجل إرسال أربع جنود متخصصين في حرب العصابات إلى الجزائر و تونس إثناء منه مؤمنين من طرف " هوشي منه " وبدا الجيش في التنظيم بعد انضمام الطاهر لسود إلى الأمانة العامة للحزب الدستوري الجديد يوم 30نوفمبر 1955 . [3]

. وفي هذا الإطار وجه الطاهر لسود إلى قادة الثورة الجزائرية في الداخل في 23ديسمبر 1955 يؤكد فيها على تضامن المقاومتين التونسية والجزائرية ، وإيمانهم بضرورة استقلال قطاع المغرب العربي دون تفريق بين أقطاره الثلاثة وذلك بقوله: " في الوقت الحاضر فقط علينا دعم النضال الواحد الموجه ضد الاستعمار الوحيد هو الاستعمار الفرنسي"، طلب من الشعب التونسي العودة لحمل السلاح إلى رفض اتفاقيات الاستقلال الذاتي، وأكد على انضمام المقاومين التونسيين إلى الثورة الجزائرية وخاصة المناطق الحدودية .[4]

---

(1)– فتحي الذيب: المصدر السابق، ص94 .

(2)– دحو جربال: المرجع السابق، ص89 .

(3)– طاهر بن عبد الله، المرجع السابق، ص131 .

(4) –عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية ...، ج1 ، المرجع السابق، ص312 .

. عقد **صالح بن يوسف** يوم28 جانفي 1956 اجتماع ببيته لتنسيق العمل المغاربي مع قادة المقاومة المسلحة بالأقطار الثلاثة والذي ضم طل من علي الزليطي والطاهر لسود والطيب الزلاق من تونس ، والسعيد عبد الحي وعباس لغرور من الأوراس بالجزائر، محمد البيطري من المغرب الأقصى .[1]

. وعقد اجتماع اخر في شهر فيفري 1956 بين قيادات جيوش التحرير الثلاثة حضر هذا الاجتماع عن المغرب عبد الكريم الخطابي ، و عن الجزائر احمد بن بلة ، وعن تونس الطاهر لسود ، وبحضور الضابط المصري فتحي الذيب .[2]

و تقرر بعث قيادة موحدة لجيش التحرير و الالتزام بمواصلة الدفاع عن الكفاح المسلح حتى تحرير كامل التراب المغرب ، كما اقترح الرئيس المصري جمال عبد الناصر على المجتمعين بان يكون الطاهر لسود رئيس للجنة تحرير شمال إفريقيا ، و حسب شهادة الطاهر لسود فانم جمال عبد الناصر أرسل إليه طابع يحمل عبارة"الطاهر لسود اليزيدي القيادة الثورية لتحرير شمال إفريقيا " .[3]

. و تم الإعلان الرسمي عن تأسيس جيش التحرير التونسي في شهر فيفري 1956 وصدر أول بيان لقيادة الجيش في 12 فيفري 1956 تحت إمضاء الطاهر لسود جاء فيه : " نعلن على رؤوس الملا للشعب التونسي و الشعب الفرنسي و العالم بأسره بأننا أحدثنا على بركة الله جيش تحريري وطني تونسي .....، و قد قررنا ضم جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين و المغاربة " .

. تميزت وحدة جيش التحرير بمهنية عسكرية كبيرة من حيث التدريب و خاصة التسليح بأسلحة حديثة و متطورة، وهذا ما شهد به الجيش الفرنسي تحت عصابات هامة وكان اغلب نشاط الجيش على الحدود الغربية للجزائر .

---

(1)- دحو جربال، المرجع السابق ص90 .

(2)- فتحي الذيب ، المصدر السابق، ص170 .

(3)- عميرة علية الصغير: اليوسفيون و تحرير ..... ، المرجع السابق ،ص 105 .

. أدى التنسيق بين جيش التحرير التونسي و الجيش الجزائري إلى تشكيل فرق جزائرية تونسية ، كما قاتل الشعبان جنبا إلى جنب خاصة في أم العرائس واللرديف ونقطة وكان الشعب التونسي يمون الجميع .[1]

. تمسك الجيش التونسي بالخيار الثوري و هذا إيمانا بوحدة الكفاح المشترك و عمل على توحيد العمل مع الجيش تحرير المغرب العربي و أعرب عن المبادئ العربية لتونس ووضع خطة لاستكمال تحرير تونس ضمن مبدأ الكفاح المشترك الذي يهدف لتحرير الأقطار الثلاثة .

. و استمر التنسيق بين الجيش التونسي و الجزائر بين صالح بن يوسف واحمد بن بلة أما عسكريا كان التنسيق بين الطاهر لسود و قادة منطقة الأوراس ، فقد إكتسى مشروع وحدة الكفاح المشترك أهمية كبيرة و أكد حضوره القوي في الميدان.

لعب صالح بن يوسف دور كبير في قيادة جيش التحرير التونسي فقد عرفت هذه المقاومة ثورتين، الأولى فترة 1952 ديسمبر 1954 لتسليم بطاقات الأمان لهم ، و بالتالي وقع إحصائهم فان مقاومتي الثورة الثانية كانوا عرفة للتبعات الفرنسية ومن السلطات التونسية باعتبارهم متمردين ومجرمين، وتقدر الاستعلامات العسكرية الفرنسية.

إن عدد اليوسفيين الثائرين بالسلاح تطور كالتالي بين فيفري و ماي 1956 .

منتصف فيفري: 759 مقاوم، 24 افريل 770 مقاوم، 29 ماي 1400، ويتوزع المقاومون اليوسفيون في أواخر ماي كالتالي :

400 بالجنوب الشرقي (بني خداش و تيطأوين) والبقية بالجنوب الغربي بجبال شط الجريد وقفصة والحدود مع الجزائر.[2]

(1)– الطاهر بن عبد الله: المرجع السابق ، ص133.

(2) – عميرة علية الصغير: اليوسفيون و تحرير .....، المرجع السابق، ص .111.

خاتمة

على ضوء دراستنا لموضوع " **صالح بن يوسف والحماية الفرنسية على تونس**" وتحليلنا لمختلف جوانب هذا الموضوع يمكن القول بان:

لبيئة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي نشا فيها **صالح بن يوسف** كان لها الأثر الكبير في تبلور موقفه من نظام الحماية الفرنسية.

كما يمكن القول بان شخصية مثل **صالح بن يوسف** كانت لها ثقافة مزدوجة جمعت بين التعليم التقليدي والتعليم العصري، أي انه جمع بين الأصالة والمعاصرة،كما أن نضاله كان نتيجة لسياسة الاستعمار الفرنسي.

ساهمت السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في دفع شخصية **صالح بن يوسف** إلى التفكير الجدي لمقاومة الاستعمار الفرنسي بعد فشل المقاومة المسلحة العسكرية بتشكيل تنظيمات وطنية وسياسية و على الرغم مما شاهدته حركة المقاومة التونسية من نشاط وتصدي للقوات المختلفة في العديد من الانتفاضات إلا أن المقاومة لن تكن منظمة تنظيم حديث ومتطور.

انظم **صالح بن يوسف** إلى صفوف إلى صفوف الحركة التونسية في وقت مبكر نتيجة نمو وعيه الوطني ومعاصرته لإحداث وظروف كان لها تأثير كبير في تكوين شخصيته النضالية مدافعا عن الهوية الوطنية والشخصية الإسلامية ، هذا ما أوقعنا في صدام مع السلطات الفرنسية ودخوله السجن في سن مبكر كما شهدت تونس منذ بداية عام 1934 خلاف بين القيادة الوطنية في صفوف الحزب الحر الدستوري التونسي ، فظهر الخلاف بينهما بشكل جدي أدى إلى انقسام الحزب الدستوري إلى قسمين وظهور الحزب الحر الدستوري الجديد الذي أعلن عن تأسيسه بعد مؤتمر قصر هلال المنعقد بسنة 1934 ، تعرض الحزب إلى هزات عنيفة تمثلت في حملة من

الاعتقالات التي طالت رؤساء الحزب "الحبيب بورقيبة "ونفيهم إلى برج البوف جنوب تونس .

تمثل سنة 1934 –1935 بداية المسيرة النضالية **لصالح بن يوسف** ضمن صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد ، الذي تقلد فيه قيادة الحزب بعد نفي رئيسه "الحبيب بورقيبة " ، حيث عمل على توسيع قواعد الحزب الشعبية واستقطاب مختلف فئاته ، وقيادته للمفاوضات للجبهة الشعبية في فرنسا .

دخل **صالح بن يوسف** إلى الحزب الدستوري الجديد من أوسع أبوابه وبطلب من قادة الحزب أنفسهم محتلا فيه المراتب الأولى ، حيث كأمين عام للحزب بعد نفي رئيسه **الحبيب بورقيبة**

اهتم **صالح بن يوسف** بالمنظمات النقابية والمهنية كما أدرك قبل غيره من أعضاء الحزب الدستوري الجديد بان الشعب التونسي بلغ مرحلة متقدمة من الوعي الوطني لمواجهة سلطة الحماية والذي أصبح يرفض أي شكل من أشكال التدخل في شؤونه الداخلية مما جعله يسعى إلى فتح نافذة الحوار مع الحكومة الفرنسية الجديدة عام 1936 بوصول حكومة الجبهة الشعبية إلى مقاليد الحكم في فرنسا .

شكلت اتفاقية **الحكم الذاتي عام 1955** التي منحت لتونس الاستقلال الداخلي ،منعرج سياسي وتاريخي كبيير في تاريخ الحركة الوطنية التونسية ، ومنها تفجر الصراع وبرز إلى الساحة أكثر من قبل بين الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد الذي كان من اشد المدافعين عن التسوية السياسية مع سلطات الاحتلال الفرنسي وبين جناح صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد الذي كان من اشد المعارضين لاتفاقية الحكم الذاتي .

برزت **الحركة اليوسفية** إلى الوجود منذ توقيع اتفاقية الحكم الذاتي التي عارضها صالح بن يوسف باعتبار هذا الأخير احد مكوناتها وعناصرها ضمت إليها تيارات فكرية و أحزاب سياسية .ومنظمات نقابية وعناصر وطنية وثورية تؤمن بالكفاح المسلح.

تعتبر **الحركة اليوسفية** تعبير عن الأزمة الحادة التي شهدتها صفوف الحركة الوطنية التونسية ، والتي آدت إلى حدوث اكبر انشقاق داخل الحزب الدستوري الجديد ، كما ساهمت عدة عوامل في إعطاء هذه الحركة بعد قومي وإخراجها من الحيز الوطني إلى الحيز القطري والبعد العربي .

شكل انعقاد مؤتمر باندونغ باندونيسيا بتاريخ 18–24 افريل 1955 حدث سياسي هائل حيث جسد ا المؤتمر خطاب سياسي واضح يدعوا إلى مقاومة الاستعمار ولمساندة حركات التحرر في العالم وخاصة الشمال الإفريقي .

حول **صالح بن يوسف** حسم الخلاف بينه وبين بورقيبة على أرضية سياسية وهذا من خلال انعقاد مؤتمر الحزب الحر الدستوري الجديد إلا أن بورقيبة تحالف مع الفرنسيين إلى حسم الخلاف مع خصمه ، هذا ما جعل **صالح بن يوسف** يلجا إلى أسلوب المقاومة المسلحة ، واستقطبت الحركة اليوسفية قيادات حركة المقاومة المسلحة في تونس وعلى رأسهم الطاهر لسود باعتباره القائد العام لجيش التحرير التونسي .

كما عمل **صالح بن يوسف** على دعم الثورة الجزائرية بعد التحاقه بمكتب تحرير المغرب العربي معلنا تأييده للعمل ألمغاربي ولتحقيق الاستقلال التام لبلدان المغرب العربي كما قام بحملات توعية للشعب التونسي للوقوف إلى جانب إخوانهم الجزائريين ودعم ثورة نوفمبر.

و في الأخير نستطيع القول بان **صالح بن يوسف** أدى دور كبير وريادي في سبيل تحقيق استقلال تونس من الغزو الأجنبي بالرغم من تعرضه لحملات اعتقال عديدة إلا انه واصل نضاله إلى غاية استعادة السيادة الوطنية إلي ى غاية اغتياله في فرانك فورت .

ملاحق

ملحق رقم 01 : معاهدة باردو [1]

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السامين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العهاد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية والتونسية – وتقرران معا بأن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يحيط بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربية الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العهاد البريار»

(1) - خليفة الشاطر، الحركة الوطنية و دولة الاستقلال ، مرجع سابق ، ص22 .

ملحق رقم 02 : معاهدة المرسى [1]

«اتفاقية المرسى»

لمّا كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لمّا كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتّفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربية.

البند الخامس : تعرض هذه الاتّفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتّفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : علي باي /ابول كامبون»

(1) - خليفة الشاطر و آخرون ، مرجع سابق ، ص 22 .

الملحق رقم 03 : الزعيم صالح بن يوسف. [1]

[1] – الحبيب قرار،المرجع السابق ص40.

الملحق رقم 04 : قادة الحزب الحر الدستوري الجديد ومن بينهم صالح بن يوسف [1]

[1] – عبد الكريم عزيز، المرجع السابق ، ص 359.

الملحق رقم 05 : المقاومة اليوسفية ديسمبر 1955 صائفة 1956 .[1]

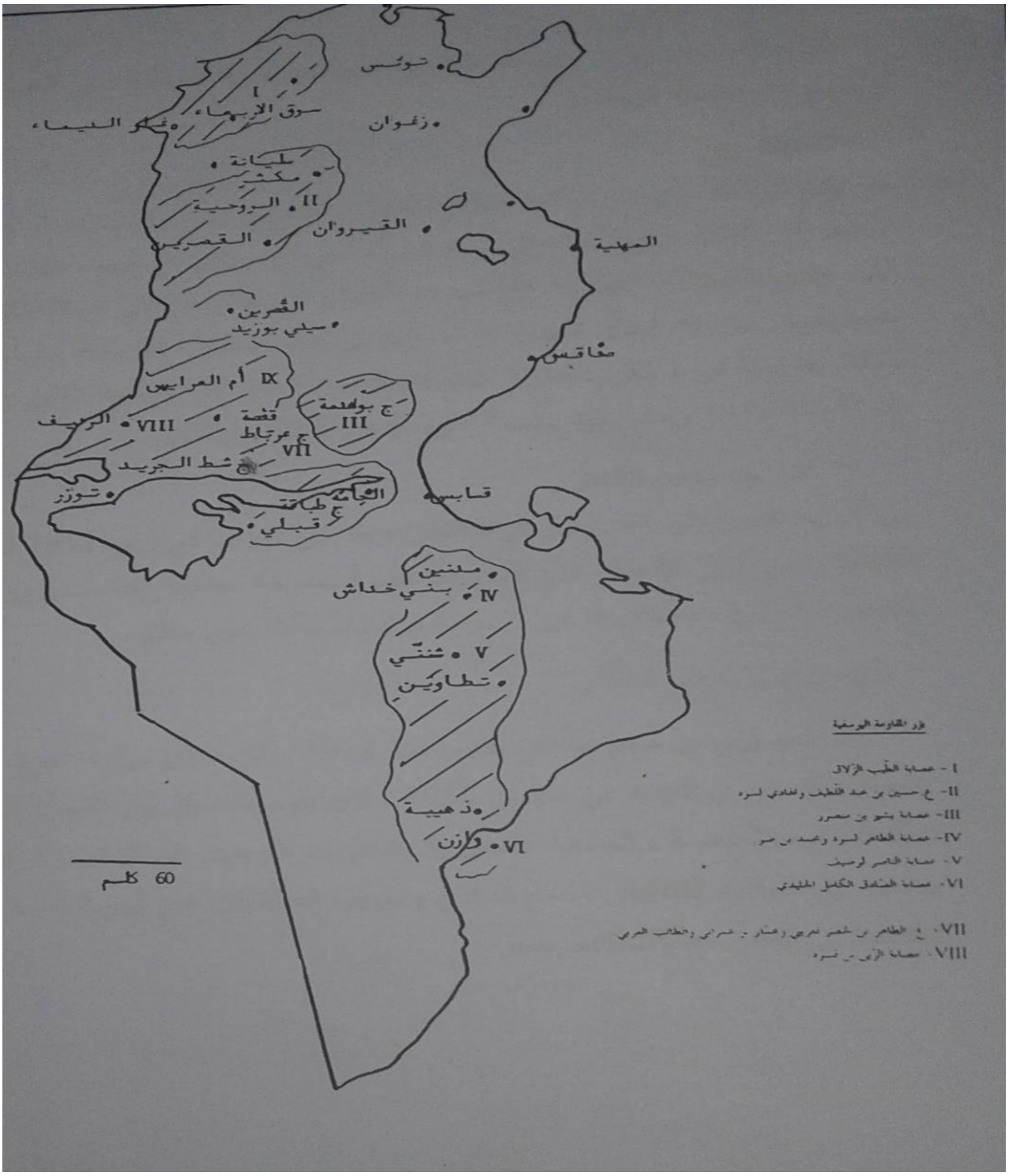

[1] – عميرة علية الصغير، المقاومة المسلحة في تونس، المرجع السابق،ص 196.

قائمة
البيبليوغرافيا

قائمة المصادر:

1-أندري جوليان شارل :"**إفريقيا الشمالية تسير، والقوميات الإسلامية- السيادة الفرنسية**" ،ترجمة المنجي،الدار التونسية للنشر،تونس ،1976.

2-البهلوان علي:" **تونس الثائرة**"، المطبعة العالمية، القاهرة.

3-بورقيبة الحبيب:" **حياتي، آرائي، جهادي**،" نشريات، كتاب الدولة للإعلام، تونس، 1978.

4-تامر الحبيب:" **هذه تونس**"، مطبعة الرسالة، د. ط، المغرب، ب. س.

5-الثعالبي عبد العزيز:" **تونس الشهيد**"، ترجمة وتقديم سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت، ماي 1975.

6-حسن حسني عبد الوهاب: "**تاريخ تونس**"، تقديم وتحقيق حمادى الساحلي، ط1، دار الجنوب للنشر،تونس،2004.

7-الديب فتحي:" **جمال عبد الناصر وثورة الجزائر**"، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984.

8-طاهر بلخوجة محمد:" **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر**"، الدار الثقافية، للنشر والتوزيع، مصر، 1999.

9-الفاسي علال:" **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**"، د. ط، د. ج، مكتبة عالم الفكر، الدار البيضاء، 2003.

10- قرار الحبيب: "**تحيا تونس**"، ط1، مطبعة بوسلامة، تونس، 1996.

11- المدني توفيق أحمد: "**حياة كفاح (مذكرات)**"، ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1-أحمد ياغي إسماعيل واخرون: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر-قارة افريقيا**"،ج2،د.ط،دار المريخ للنشر والتوزيع،الرياض،1993.

2-برج محمد عبد الرحمان: "**من السويس الى بنزرت، دراسة تارخية مقارنة بين الحركة الوطنية في مصر وتونس**"، درالشعب، القاهرة، د،س.

3-بن حاج بن عثمان بن بشير:"**أضواء على تاريخ تونس1881-1924** "،دار بوسلامة للنشر والتوزيع ، ط1 ، تونس ،1981.

4-بن عبد الله طاهر: " **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية**" ، ط2 ،دار المعارف للطباعة و للنشر، الإسكندرية ،1966.

5-بيضون جميل وآخرون: **تاريخ العرب الحديث**"، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، د.ب، 1992

6-تأليف ثلة من الأساتذة: "**موجز تاريخ الحركة الوطنية الحركة الوطنية التونسية (1881-1964)** "، المعهد الأعلى للحركة الوطنية، تونس، 2008.

7-التليلى العجيلى:" **التصوف في تونس الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1986**"، منشورات كلية الأدب منوبة، 1992.

8-جلال يحي: "**المغرب الكبير في الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال**"،ج3،الدار القومية للطباعة والنشر،الاسكندرية ،1966.

9-جلال يحي: "**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المكتب الجامعي الحديث، د ط، الإسكندرية، 1999.

10- الجندي أنور:"**الفكرة والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**"، د.ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

11- حافض حمدي وآخرون:"**تونس المعاصرة**"، دار القاهرة للطابعة والنشر، القاهرة، د،س.

12- داهش محمد علي:"**دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والإتجاهات الوحودية في المغرب العربي** ،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،2001.

13- الدرعي محمد:" **التاريخ المعاصر لتطورات السياسة في الوطن العربي**"، ج2، الدار الأهلية للنشر والتوزيع،د.ط،الجزائر،1995.

14- الذوادي زهير:"**تطور الحركة الوطنية التونسية 1929-1939**"، دار القلم للنشر والتوزيع، تونس، 1982.

15- رأفت الشيخ: " **تاريخ العرب المعاصر**"، دار الدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، د.ط، د.ب،1996.

16- الزريبي وناسي الهادي:" **الطاهر لسور القيادة العامة لجيش التحرير شمال إفريقيا**"، مطبعة التفسير الفني، ط1 صيفا قس، تونس، 2008.

17- الزميلي الصادق:" **أعلام تونسيون**"، تقديم وتعريب حمادى الساحلي، د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

18- الشابي منصف: "**صالح بن يوسف حياة يوسف حياة كفاح**": ط2، دار نقوش عربية، تونس، 2007 .

19- الشاطر خليفة وآخرون:" **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال**"، ج3، د.ط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس،2005.

20- شاكر محمود: "**التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر لبلاد المغرب**"،ط2، المكتبة الإسلامية، بيروت،دمشق،1996.

21- شريف محمد الهادي: " **تاريخ تونس من ما قبل التاريخ الى الإستقلال**" ، دار سراس للنشر، ط3،1993.

22- صافي سعيد: "**بورقيبة سيرة محرمة**" ، ط1، رياض الرياس للكتاب والنشر، تونس ،2000.

23- الصغير علية عميرة: "**المقاومة المسلحة في تونس(1939-1956)**،**ج2**"،ج2،ا لمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2005.

24- الصغير علية عميرة: "**اليوسفيون وتحرر المغرب العربي**"، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط2، تونس، 2001.

25- ضيف الله محمد: "**صالح بن يوسف خطب ووثائق أخرى، 1955-1956** " ، د.ط، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس،2015.

26- طلعت الغنيمي محمد: "**جامعة الدول العربية**- دراسة قانونية سياسية"،منشأ المعارف، تونس،1974 .

27- العربي إسماعيل:" **المدن المغربية**"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1984.

28- عروسية التركي: "**الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956**"، دار النهضة للطباعة والنشر، تونس،2001 .

29- عزيز عبد الكريم: "**نظال شعب أبي تونس 1881-1956**"، مركز النشر الجامعي، 2001.

30- عطا الله الجمل شوقي وآخرون: " **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار الزهراء، ط2،الرياض، 2002.

31- عطا الله الجمل شوقي:" **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر)**"، مكتبة الأنجلوا المصرية، د.ط، د.ب، 1988.

32- غرايبة عبد الكريم محمود: " **تاريخ العرب الحديث**"، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1984.

33- فرج محمد: "***الأمة العربية على الطريق إلى وحدة الهدف و تاريخ الأمة العربية من* الاحتلال العثماني إلى مؤتمر القمة العربي (1514-1964)**"، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.

34- القصاب أحمد:" **تاريخ تونس المعاصر1881- 1956**"، تعريب حمادى الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1886.

35- اللولب حبيب حسن، " **التونسيون والثورة الجزائرية**"، ج2، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

36- المحجوبي على : " **إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس** " ، تعريب عمر بن ضو -حليمة قرقوري- وعلي المحجوبي ، ب.ط، دار سراس للنشر تونس.

37- المدني توفي:"**المعارض قة التونسية نشأتها وتطورها**-دراسة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2001.

38- مقبلاتي عبد الله:" **دور بلاد المغرب في دعم الثورة الجزائرية**"، ج1، دار بوسعادة للنشر الجزائري، 2012.

39- مقلاتي عبد الله:" **العلاقات الجزائرية المغاربية و الإفريقية ابان الثورة الجزائرية**"، ج1، ط1، دار السبيل للنشر و التوزيع، 2009.

40- مناصرية يوسف :"**دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية** التونسية بين **الحربين 1919-1934**"،د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2014.

41- نويصر وآخرون:" **الدعم العربي للثورة الجزائرية**"، سلسلة المشاريع الوطنية، الجزائر، 2007.

المراجع باللغة الفرنسية:

1 -Charles robert ageron : **« les algérien musulmans et France 1871-1919** » ,T2,PEF,paris,1968.

الرسائل الجامعية:

1-عبو نجاة:" **التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة وصالح بن يوسف-دراسة تاريخية مقارنة،1945-1961**"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، تحت إشراف عبد الله مقلاتي ، جامعة محمود بوضياف، المسيلة، السنة الجامعية 2013 – 2014 .

2-عسول صالح:" **اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956 –1962**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة 2009.

3-العمري مومن:" **شعار الوحدة ومضمانية في المغرب العربي أثناء الكفاح الوطني**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منشوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2009، 2010.

4-قدادرة الشايب:" **الحزب التونسي وحزب الشعب الجزائري، 1934 – 1954 – دراسة مقارنة**،" أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

5-معزة عز الدين:" **فرحات عباس والحبيب بورقيبة 1899 –2000**"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2010 – 2009

6-مناصرية يوسف:" **الحزب الدستوري التونسي، 1919– 1934**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستر، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف أبو القاسم سعد الله، 1986.

7-موسم عبد الحفيظ:" **الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية**"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تلمسان، السنة الجامعية 2015 – 2016.

الموسوعات:

1-عبد الرحيم. م:" **موسوعة العظماء و المشاهير وشخصيات من العالم**"، دار البدر للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

2-الكيالي عبد الوهاب:" **موسوعة السياسة**"، ج1، الإشراف على التلقين رشيد الليبي، مؤسسة نحال للطباعة والإعلان، د.س .

3–الكيالي عبد الوهاب:" **موسوعة السياسة**"، ج3، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، د. ب، د.س.

مقالات وأبحاث:

1–الأبيض سالم:" وثيقة عن الحركة الإستقلالية في المغرب العربي ، اليوسفية "، **المجلة التاريخية المغاربية** ، العدد130، ، منشورات مؤسسة التميمي ، تونس، 2008

2––المنجي ورواده: "جذور الحركة اليوسفية" ، **المجلة التاريخية المغاربية،** العدد 71–72، مؤسسة التميمي، تونس.

3–بحر فياض نعمة:" دور صالح بن يوسف في قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد **1934–1935**"، **مجلة آداب الفراهيدي**، العدد 15، تكريت، 2013.

4–بن عبود محمد: "جاك كاني المؤتمر المغربي 1947 وبداية نشاط المغرب العربي في القاهرة"، **المجلة التاريخية المغاربية** ، العدد 25–26 تونس، 1982.

5–طه التكريتي غيلان سمير:" الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918 – 1939، **مجلة آداب الفراهيدي**، العدد 13، تكريت كانون الأول، 2012 .

6–فضة عمر:" سينيمار الذاكرة – الزعيم صالح بن يوسف"، **المجلة التارخية** والمغاربية، العدد130.

7–**مجلة المنار**: الجزائر، العدد08.01،أوت،1952.

8–مقلاتي عبد الله : "الثورة الجزائرية وعلاقتها التونسية"، **مجلة المصادر** ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ' السداسي الأول ، 2009.

9-مقلاتي عبد الله: "مؤتمر طنجة المغاربي ومسألة الوحدة والتضامن مع الثورة الجزائرية، **مجلة المصادر**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، -العدد 20، السداسي الثاني الجزائر،2009.

10- مقلاتي عبد الله: النشاط الإنساني للثورة الجزائرية المغاربية- نشاط الهلال الأحمر نموذج، **مجلة المصادر**، العدد 10،2004.

ملتقيات:

1--جربال دحو: "**جيش التحرير المغاربي(1948-1955)**" ،أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر، 11و12 ماي 2001، الجزائر 2004.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

Commentaire [S1]:

المحتويات	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	1
الفصل الأول: الأوضاع العامة في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي لتونس	8
المبحث الأول:الأوضاع السياسية	9
المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية	19
المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية	24
المبحث الرابع : الأوضاع الاقتصادية	29
الفصل الثاني : صالح بن يوسف ونضاله الوطني	36
المبحث الأول : المولد والنشأة	37
المبحث الثاني : دراسته ونضاله الوطني	39
المبحث الثالث : صالح بن يوسف ونشاطه في الحزب الدستوري الجديد	44
المبحث الرابع : قيادة صالح بن يوسف للمفاوضات مع حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية	59
الفصل الثالث : من الحكم الذاتي إلى الاستقلال التام	67
المبحث الأول :المفاوضات التونسية الفرنسية وموقف صالح بن يوسف منها ومن الحكم الذاتي	68
المبحث الثاني:صالح بن يوسف وتدويل القضية التونسية	79
المبحث الثالث :الخلاف اليوسفي البورقيبي واستمرار المقاومة المسلحة	87

المبحث الرابع :موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية	102
خاتمة	120
الملاحق	125
قائمة المصادر والمراجع	131
قائمة المحتويات	142